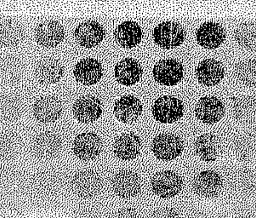
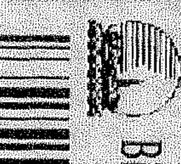
مكتبة
الأسرة
1999

مهرجان القراءة للجميع

الروائع

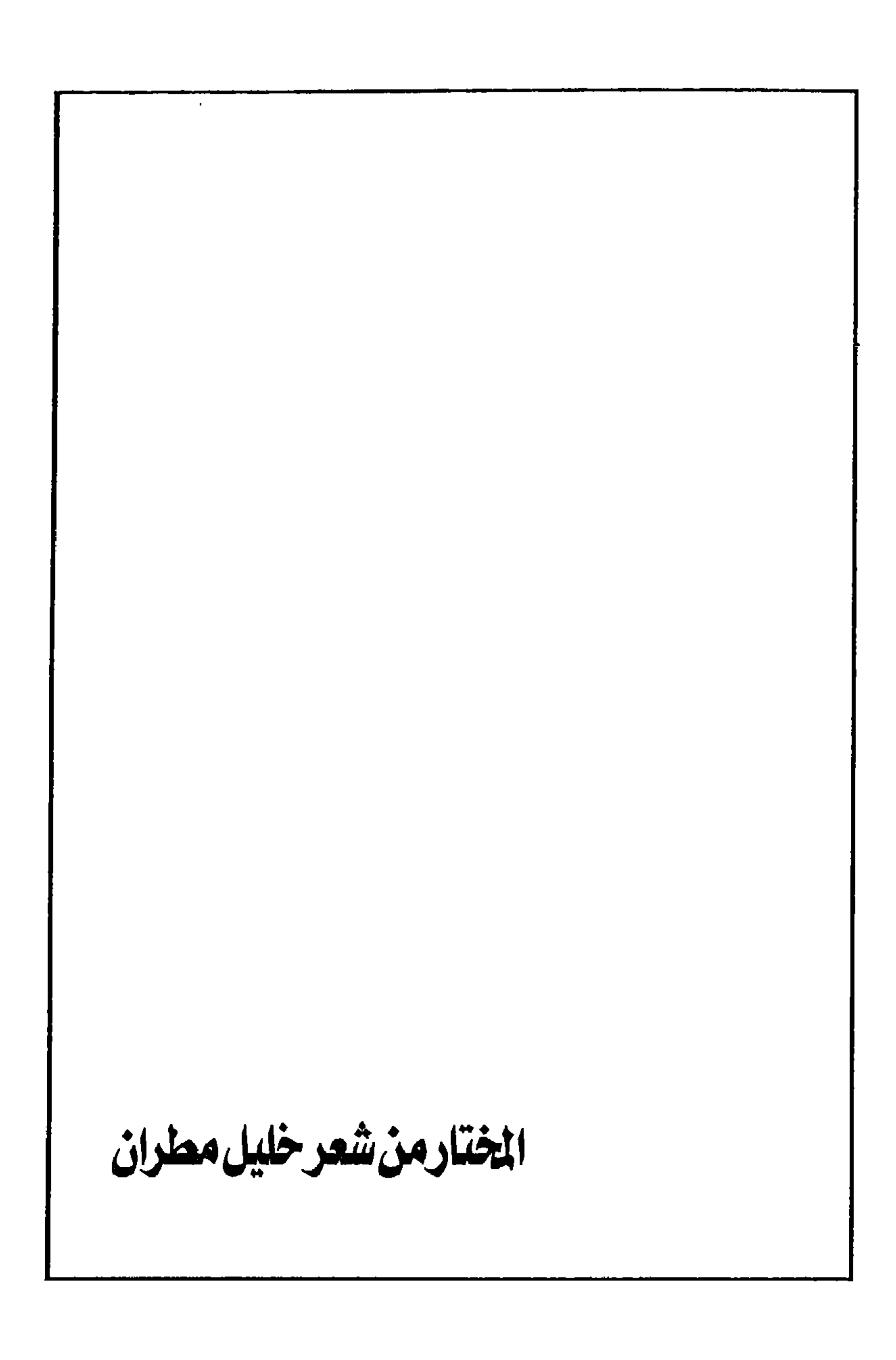
المختار من شعر خليل مطران







الهيئة المصرية
العامة للكتاب



المختار من شعر خليل مطران

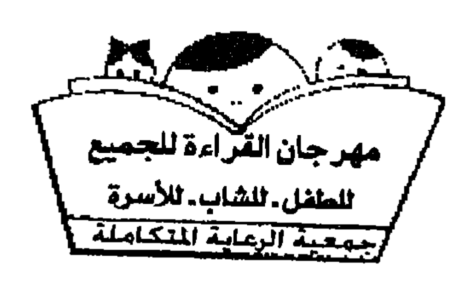
بالتعاون مع منظمة اليونسكو
(كتاب فى جريدة)

المختار من شعر

خليـل مطـران

إعداد وتقديم

د. سمير سرحان   د . محمد عنانى



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الروائع)

المختار من شعر خليل مطران

إعداد وتقديم: د. سمير سرحان د. محمد عنانى

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة التنمية الريفية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان: محمود الهندى
المشرف العام:
د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

تصدير

لم يلق شاعر من كبار شعراء العربية فى القرن العشرين من التجاهل ما لقيه خليل مطران ، وليس من الصعب إدراك أسباب ذلك ، وأهمها وأوضحها طغيان شهرة معاصرية ، وعلى رأسهم شوقى وحافظ على شهرته ، وطغيان شهرته هو مترجماً لشيكسبير على شهرته شاعراً أصيلاً مبدعاً ! وهذا من المألوف فى آداب الأمم الأخرى أيضاً ، فإن بعض معاصرى شيكسبير لم يكونوا أقل منه عبقرية وإبداعاً فى عدد من مسرحياتهم وأشعارهم ، ولكن سطوع نجم شيكسبير وتعلق الإنجليز به تعلقاً غير عادى جعل أضواء معاصريه تخفت بالقياس إليه ، وكذلك كان الشأن لدينا فى الموسيقى مثلاً ، إذ طغت شهرة محمد عبد الوهاب وأم كلثوم فطمست (أو كادت) عبقريات ملحنين مبدعين ومطربين عباقره لا ذنب لهم إلا معاصرة هذين النجمين الساطعين . وما يزال صيت خليل مطران مقترناً بترجماته الرائعة والرائدة لبعض مسرحيات شيكسبير حتى كان الكثيرون - حتى عهد قريب - يدهشون حين يقرأون شعره !

والغريب والمدهش فى هذا أن خليل مطران يجمع بين روح الأصالة التى حمل لواءها قادة مدرسة الإحياء أو البعث ، منذ البارودى ، وبين روح التجديد والابتكار التى أشاعها أصحاب مدرسة أبولو الرومانسية ، وكان يشغل نفسه بشواغل العربية وقضيتها (أو قضاياها) انشغالاً يحسده عليه المتخصصون ، ويهتم بالمسرح اهتماماً يحسده عليه رجال المسرح فى عصرنا ، ولا غرو فإليه يرجع الفضل الأول فى إنشاء المسرح القومى فى مصر ، ولا يملك كل محب لفن المسرح إلا أن يشعر بالامتنان لذلك العمل الفريد .

أما أسباب طغيان شهرة شاعر على شهرة شاعر آخر فهى من أشق الأمور على الراصد ، إذ لا تقتصر على المزايا الفنية أو الفكرية بل تضم ما كان يسميه ماثيو أرنولد بالتقاء قوة الإبداع الفردى مع قوة اللحظة التاريخية ، ويدخل فى حسابها ما يسميه ألدوس هكسلى بعلاقة السوق ، التى تربط الكاتب أو الشاعر بالقارئ ، أما ما يعنيه أرنولد فهو أن الكاتب أو الشاعر الذى يصل إلى الناس فى اللحظة المناسبة تكبر صورته وتتضخم ، بل إنه يصبح جزءاً من هذه اللحظة نفسها ، وكان شوقى يدرك ذلك بحسه الفطرى فأنشأ قصيدته **كبار الحوادث فى وادى النيل** على مشارف القرن العشرين مذكياً بذلك روح الوطنية الناشئة ومستلهماً تاريخ مصر ، فربط نفسه بتاريخ مصر منذ البداية ، وكذلك شُغل حافظ إبراهيم بقضية الاستقلال والوطنية المصرية والنهضة المرجوة ناظراً إلى بناة

الأهرام والأجداد العظام ، وأما ما يعنيه هكسلى فهو إدراك الكاتب أو الشاعر لما يريده القارئ ، وبذله الجهد اللازم للاستجابة إلى حاجاته - صريحة أو مضمرة - وكان يعرف أن الحاجة الأولى هى جمال الصياغة فى إطار البيان والبديع والمحسنات اللفظية ، وصياغة الأبيات التى يسهل حفظها وترديدها لأنها أشبه بالحكم والأمثال السائرة ، فبز فى ذلك حافظاً وتخطاه ، وكان يعرف بفطرته ما قال به كولدريدج من أن الشاعر يسهم فى إيجاد «الحاجة» إلى شعره ، وفى تكوين القدرة على تذوق فنه، فهو يقدم إليهم جرعات تمتزج فيها الأنماط التقليدية التى اعتادوها بالأنماط الجديدة التى يريد لهم أن يتقبلوها ، وتوسل فى ذلك بأسلوب مبتكر هو صوت العبقرى محمد عبد الوهاب ، الذى تمكن بألحانه (التى اتبع فيها أسلوب المزج المذكور نفسه) من الوصول إلى نفوس القراء وعقولهم ، فالأذن هى الباب الذى يدخل منه الشعر إلى النفس والعقل ، ولو لم يَشْدُ عبد الوهاب بأشعار شوقى ما كُتب لها أن تلقى ما لقيت من ذيوع ، بل إن محمد القصبجى عندما أراد إقناع أم كلثوم بأن يلحن لها قصيدة ، لم يجد سوى شوقى ينتخب منه بعض الأبيات ، ولما غنتها أسمهان غضبت أم كلثوم ، وكان مطلع هذه القصيدة الفريدة :

هل تيّم البان فؤاد الحمام   فناح فاستبكى جفون الغمام

هل شفه ما شفنى فانثنى   مبلبل البال شريد المنام

ولو لم يسمع الناس هذه القصيدة من أسمهان ما عرفوا هذا الصانع الماهر ، وكذلك كان حظ إبرهيم ناجى حين غنت له أم كلثوم (الأطلال) وغنى له عبد الوهاب (القيثارة) وحظ حافظ إبرهيم حين غنت له أم كلثوم (مصر تتحدث عن نفسها)-وحظ على محمود طه حين غنى له عبد الوهاب (فلسطين والجندول وكليوباترا) مثلاً ! وقس على ذلك حظوظ غيرهم ممن لم يُغنّ لهم أحد ، أو ممن نالوا شهرة محدودة بسبب عدم اتصالهم بآذان الجمهور !

إن «موضوعات» خليل مطران لا تختلف كثيراً عن موضوعات شوقى وحافظ ، فهو غزير المراثى وشعر المناسبات والإخوانيات والغزل والنسيب والوطنيات ، وما إلى ذلك ، ولكنه لم يكن يهتم بتلك الأسباب التى ذكرناها ، وظل شعره حبيس ديوانه ، قد تتسرب منه قصيدة أو قصيدتان إلى «المناهج الدراسية» فيطلع عليها النشء ، ولكنها تظل محتجبة عن الآذان !

كان مطران مجدداً فى كل شئ - فى الموضوعات والأشكال الشعرية، فكان من أوائل الشعراء العرب الذين اهتموا بالطبيعة ، مع قادة مدرسة أبولو ، فكتب عن الأزهار والطيور وتحدث عن العواطف المشبوبة.

الشخصية والعامة ، وكان يقترب فى ذلك من مذهب مدرسة الديوان - العقاد والمازنى وشكرى -ولكنه كان يطمح دائماً إلى التجديد ، فكتب ، على نحو ما يتضح من هذه المختارات التى تفخر مكتبة الأسرة بتقديمها

إلى القارئ العربى لأول مرة ، فى أشكال شـعرية جديدة ، لعل أجسرها هو قصيدة النثر !

ولد خليل مطران عـام ١٨٧١ فى بعلبك - لبنـان - وتلقى دراسته الأولى فى مدرسة ابتدائية فى زحلة ، ثم انتقل إلى المدرسة الكاثوليكية فى بيروت حيـث استقى اللغة العـربية من مناهلها الفيـاضة على أيدى أبناء أسرة اليـازجى (خليل وإبراهيم) وتعلم الفرنسـية فأجـادها إجادة نادرة ، واشتـرك فى شبـابه فى الكفاح الوطنى مـن أجل الاستقـلال عن الدولة العثـمانية ، فـتعرض لغضب الـسلطان العثمـانى واضطر إلى الفرار إلى باريس فى عام ١٩٠٠ ، وهناك درس الأدب الفرنسى ونشط للترجمة عن الفرنسيـة إلى العربية ، ثم لم يلبث أن هاجر إلى مـصر فى عام ١٩٠٢ وظل بها حتى توفى عام ١٩٤٩ .

وعلى الرغم من اشتـغال مطران بالحيـاة العامة فى مصـر وعمله ذى الجوانب المتعددة - كـما يقول الدكتور محمد مـصطفى بدوى - بالصحافة والتمويل والتجارة و «الاقتصـاد الزراعى - فإنه لم يستطع تحقيق (الصورة) الجماهيـرية للشاعر التى كان (العـصر) يتطلبها ، فكان كثـير التنقل بين مصـر والشام ، ولهـذا لُقّب بشاعر الـقطرين ، وكان يلقى أشـعاره فى الحفلات العامة ، ويكتب فى التاريخ والفلسفة الأخلاقية ، دون أن ينافس شوقى مثلاً منافسـة حـقيقية على المستوى الجماهيرى - كمـا نقول بتعبير هذه الأيام ! والناظر فى هذه المخـتارات من ديوانه الضخم (أربعـة أجزاء)

سوف يرى مـدى التجـديد الذى نجح فى تحقـيقه ، وذلك بـعد أن أثبت قدرته الفـائقة على النظم التقليـدى ، فأخرج قصـيدة نيرون ذات القافـية الموحدة ، والتى يبلغ عدد أبياتها ٣٢٦ بيتاً ، ولذلك لم يتردد فى كتابة قصيدة النثـر فى رثاء الشيخ إبراهيم اليازجى ، إذ لن يتهمـه أحد بالعجز عن النظم أو الخـوف من قيـد القـافيـة . ولعل أبلغ مـا نختـتم به هذا التصـدير هو تصديره هو لقـصيدته الـطويلة التى لم نستطع إدراجـها فى المختارات وإلا ابتلعت نصف صفحات الكتاب .

يقول مطران لسامعيه قبل القاء القصيدة المذكوره :

تعلمون أن الشعر العربى ، إلى هذا اليوم ، لم تنظم فيه الـقصائد المطولات الكبر فى الموضـوع الواحد ، وذلك لأن التزام القافية الواحدة كان، ولم يزل ، حائلاً دون كل محاولة من هذا القبيل ، وقد أردت ، بمجهود نهائى ختامى أبذله ، أن أتبين إلى أى حـد تـتـمـادى قـدرة الناظم فى قصيدة مطولة ذات غرض واحـد ، يلتزم لها روياً واحداً ، حتى إذا بلغت ذلك الحـد بتجربتى بـينت عندئذ لإخوانى من الناطقين بالضـاد ضرورة نهج مناهج أخـر لمجاراة الأمم الغربيـة فيما انتـهى إليها رقيـها شعراً وبيـاناً . وفى لغتنا الشريفـة معوان على ذلك ، وأى مـعوان ، إذا أقلعنا عن الخطة التى صلحت لأوقاتها السـالفات ، إذ كانت أغراض

الشعر فيها قليلة محدودة ، ولكنها أصبحت لا تصلح لهذا الوقت الذى بعدت فيه مرامى الألباب ، وصار فيه ، بفضل البرق والبخار وسائر أعاجيب الاختراع ، كل أفق بعيد قريباً ، كأنه وراء الباب .

بل قد أقول وليتنى أوفق ، فى بعض ما سأنشده ، إلى إقامة دليل ، وإن قل فى شعرى ، على أن اللغة العربية ، التى تجود علينا هذا الجود وأيديها مغلولة عن العطاء بتلك الأغلال الثقيلة ، قادرة - متى فكت عنها الربط - على فتح أبواب كنوزها التى لا نهاية لها ، ومنح شعرائها - من فرائد المفردات ، وبدائع الجمل ، وروائع الاستعارات - ما يبقى لها المقام الأول فى الإعجاز .

أردت - بحق السن ، وبحق المران المتصل ، والارتياض القديم على قرض الشعر - أن أتمشى فى طريقى هذا الجديد بعد أن أكون قد أثبت ، بنهاية المستطاع ، أن الأسلوب الحديث لم يتخذ لعجز عن النظم بالقافية الواحدة، بل لرغبة فى نوع آخر من النظم ، يفتح فى وجه واجه أقصى الآفاق ، وييسر له أسباب الوصول إلى أسمى الأغراض ، ويرد على اللغة - من الحياة والقوة - ما تعود به عاملاً بين أكبر عوامل الرقى فى الأمم .

بعد أن استقر عزمى على هذا ، رجع إلى ذهنى موضوع تاريخى رائع كنت قد نظمت فيه أبياتاً محدودة ثم تركت الاشتغال به لما بدا لى من وعورة مسالكه ، ومن أن استيفاء أغراضى فيه يدعو إلى التوسع وراء ما يجوز للناظم بالقافية الواحدة أن يفكر فيه . غير أننى ، بعد أن أعدت النظر على القليل الذى كنت قد نظمته ، استعنت الله على الإكمال .

والآن ، يا سادتى ، سأقرأ لكم أكبر قصيدة متحدة الروى ومتحدة الموضوع عرفتها اللغة العربية . هى الكبرى بعدد أبياتها ، وبالغرض الذى نظم له ذلك العدد ، ولكن ما أدرى أية قيمة لها سوى العدد . أتيت بمجهود فى التماس غاية ، وما أتيت بآية .

وهذا التواضع الجم إن دل على شئ فإنما يدل على صدق الشاعرية وعمقها .

وسوف يجد القارئ فى هذه المختارات ، التى يسعد مكتبة الأسرة أن تقدمها لأول مرة ، كل ممتع بهيج ، وكل جديد مثير ، على الرغم من انقضاء نصف قرن على رحيل هذا العبقرى .

والله من وراء القصد ،

مكتبة الأسرة

١ بدر وبدر

حَسْنَاءُ لَكِنْ نَفُورُ ... بَادٍ عَلَيْهَا الفُتُورُ

إذَا رَنَتْ غَارَ مِنْهَا ... فِي الْحَيِّ عِينٌ وَحُورُ(١)

وَإِنْ تَمِسْ فَإِلَيْهَا ... مُنَى النُّفُوسِ تَطِيرُ

لاَ تَكْسِرُ الجَفْنَ إلاَّ ... وَقَلْبُ صَبٍ كَسِيرُ

وَلاَ تَبَسَّمُ إلاَّ ... وَجَفْنُ بَاكٍ يَمُورُ(٢)

وَلاَ تَلَفَّتُ إلاَّ ... وَجِيرَةُ الحَيِّ صُورُ(٣)

يَا قُرَّةً لِعُيُونِي ... فِي الصَّدْرِ مِنْا سَعِيرُ

كَمْ جِئْتُكُمْ مُسْتَزِيراً ... وَطَيْفُكُمْ لاَ يَزُورُ(٤)

---

(١) رنت : نظرت . حور : الحور ذوات العيون الجميلة .

(٢) يمور : يسيل .

(٣) صور : مائلة أعناقهم . (٤) مستزيراً : طالباً الزيارة .

إنْ كَانَ صَبْرِى قَلِيــــلاً   فَإنَّ وَجْدِى كَثـــيـــرُ
لَيسَ المُحِبُّ صَدُوقــــاً   فِى الحُبِّ وَهْوَ صَبُورُ
يَابَدْرُ سُمِّيـــتَ بَدْراً   وَأَيْنَ مِنْكَ الـــبُدُورُ ؟
أَيْنَ الجَمَادُ مُنـــيراً   مِنْ ذِى حَيَاةٍ يُنـــيرُ ؟
أَيْنَ الـصَّبَاحَة فِيــــه   وَأَيْنَ مِنْهُ الـشُّعـــورُ ؟
أَيْنَ الــسَّنَى وَهْوَ شَيْبٌ   مِنَ الــصِّبَى وَهْوَ نُورُ ؟
لَمْ أَنْسَ حِين الـتــقـــينَا   وَالـرَّوْضُ زَاهٍ نَضِيــــرُ
إذِ العـــيـــون نيـــام   وَالـلَّيْلُ رَاءُ حَسِيــــرُ[1]
وَفِى الـهـــواء حـنـينٌ   مِنَ الـهَوَى وَزَفـــيرُ
وَلِـلمـــيَاهِ أنين   تَذُوبُ مِنْهُ الـــصُّخُورُ
وَلِـلنَّســيمِ حـــديثٌ   عَلَى المُرُوجِ يَدُورُ
وَلِلأَزاهـــر فـــكـــرٌ   يَرْوِيـهِ عَنْهَا الـعَبـــيرُ
تَدْنُو إلـيـــه فـــتـلقـي   تَحـــيَّةٌ وتَسِيــــرُ

---

(١) والليل راء حين : يراد به الليل الذى رقت ظلمته فشفت عن ضياء ضئيل كرؤية الأحسر ذى النظر الضعيف .

لَهْفِي عـليـــــه زمـــانــاً   وَلَّى فَوَلَّى الـــــــــسُّرُورُ
مَضَى قـــصــيـــراً ولــكن   لِلـسَّعْدِ عَهْدٌ قَصِيـــــــرُ

٢ الزهـــر

أهديت إلى إحدى عقائل المجد من السيدات المحسنات فى باريس

آذَنَتِ الشَّمْسُ بِالتَّوَارِى   وَقَدْ طَوَتْ رَايَةَ الأَصِيلِ
وَأَقْبَلَتْ زِينَةُ الدَّرَارِى   تَشْفِى بِلأْلاَئِهَا الْغَلِيلِ

❁

كَمْ كَوْكَبٍ فِى الظَّلاَمِ يَبْدُو   لَكِنَّهَا رَبَّةُ النُّجُومِ
لَهَا جَوَارٍ مِنْهَا وَجُنْدُ   كَجَوْهَرٍ حَوْلَهَا نَظِيمِ
هَوَاؤُهَا عَنْبَرٌ وَنَدُّ   غِذَاؤُهَا النُورُ وَالنَّعِيمِ
تَسْرَحُ مَنْشُورَةَ الرِّدَاءِ   فِى مَسْرَحِ اللَّهْوِ والذُّهُولِ
خَائِضَةً أَبْحُرَ الْهَنَاءِ   فِى نَسَمٍ كُلُّهَا قَبُولِ

❁

لَكِنَّهَـــا غَـــادَةٌ غَيُـــورُ – وَأَيُّ حَسْـنَاءَ لاَ تَغَـــارْ – ؟
فَرُبَّمَا سَـاءهَا نَظِيـــــرُ تَـــرَى غَدِيـــراً بِهِ اسْتَنَارْ
فَكَـــادَ مِـــنْ لَحـظِهَا يَثُورُ نَبْـعٌ طَفُـــورٌ مِنَ الـشَّرَارْ
مَنْ يَخْـلُ مِنْ شَـاغِلِ الْعَنَـاءِ فَوَهْمُهُ الـشَّاغِلُ الثَّقـــيلْ
رَسْمُكِ هَـذَا فِـى حَوْضِ مَاءِ يَامَنْ تَنَـزَّهْتِ عَـــنْ مَثِيـلْ

❁

هَـــوَاكِ عَـذْبٌ بِلاَ عَــذَابِ ومِنْكِ تَخْـلُو لَنَا الـشُّجُونْ
وَفِـــيكِ ضَـوءٌ بِلاَ الْتِهَابِ تَقَرُّ مِمَّا صَفَـــا الـــعُيُونْ
وَحَبَّذَا أَنْـتِ فِـى اضْطِـرَابِ وَحَبَّـــذا أَنْـتِ فِـى سُكُونْ
كَلَمْعَةِ الـسَّعْدِ فِـى الـشَّقَاءِ كَدَمْعَةِ الـوَجْدِ فِي المَسِيــلِ
كَـــالبِكْرِ بالحُسْـنِ والْحَيَاءِ وَغَضِّهَـا طَـرْفَهُ الـكَحِيـلِ

٣ الوردتـــان

اطلعت على الموشحة الآنفة آنسة شرقية من أوانس البيوتات المشهورة . .
فبدا للناظم أنها تتمنى أن ينظم مثلها ويهديها إليها. فأجابها إلى ما تمنت

تَبَـــارَكَ اللهُ فَهْـــوَ لَمَّـــا أَرَادَ أَنْ يُبْـــدِعَ الـــكِيَانْ
أَبْـــدَأَهُ فِكْـــرَهُ ، وَلَمَّـــا يَقُـــلْ لِمَـا شَـــاءَ كُنْ فَكَانْ

❁

فَجَاءَ ذَا الـــعَالَمُ الـــعَظِـــيمُ لَفْظـــاً لِفِكْرٍ تَصَـــوَّرَهْ
أَلـــشَّمْسُ وَالأَرْضُ وَالـــنُّجُـــومُ مِـــنْ مُظْلِمَـــاتٍ وَمُبْصِرَهْ
كَأَحْرُفٍ سِفْرُهَـــا الرَّقِـــيمُ مُذْهَبَـــةٍ أَوْ مُحَـــبَّرَهْ[1]
جَمِيـــعُهَا اسْمٌ وَهْوَ الْمُسَمَّى فِي سَعَةِ الخَلْقِ وَالـــزَّمَانْ

---

(١) سفرها الرقيم : كتابها فضاء السماء .

وَكُـلُّ حَـرْفٍ حَوَى لَهُ اسْمـــاً يَضِــــيقُ عَنْ ضَمِّهِ المَكَانْ

وَنَـــــوَّرَ اللهُ بِابْتِسَـــــامِ تَمْثِــــيلُهُ الْبَاهِرُ البَدِيـعْ

وَزَانَ مَا فِيــــهِ مِنْ نِظَـامِ بِكُلِّ ضَرْبٍ مِنَ الــــبْدِيــــعْ

فَعَقَّبَ الـــشَّمْسَ بِالـــظَّلاَمِ وَدَبَّجَ الـــعَامَ بِالــرَّبِيـــعْ

وَأَنْهَضَ الـــشَّاهِقَ الأَشَـــمَّا وَأَقْعَـــدَ الْغَـــوْرَ فَاسْتَكَانْ[1]

وَمَدَّ مِنْـــه جَـــرَى خِضَمّاً وَتَحْتَهْ الـــنَّارُ فِـــى أَمَانْ[2]

❁

يَا رَبِّ أَعْظِـــم بِمَـــن وَضَعْتَ فِى الْكَـوْنِ مِنْ آيِكَ الْعِظَـامْ[3]

أَدَقُّ شَـــــئٍ مِمَّا صَنَعْــــتَ كَجُمْلَةِ الخَلْـــقِ بِالـــتَّمَامْ

وَكُـــلُّ جُزْءٍ بِـــهِ جَمَعْتَـــا عَجَائِبَ الْكُـــلِّ حَيْثُ قَـــامْ

نَثَرْتَ نَثْراً فَجَـــاءَ نَـــظْـــمًا بَدِيعُـــهُ حِلْيَـــةُ الْبَيَـــانْ

لَكِنَّ فِى صُـــنْعِـــكَ الجَلِيـــلِ أَحَـــبُّ شَـــئٍ لَنَا الـــزَّهَرْ

---

(١) الشاهق الأشم الجبل العالى . السور : المتطامن من الأرض .

(٢) خضماً : بحراً .

(٣) آيك : آياتك .

خَلَقْتَهُ نهْجـةَ الـعـقـول وَمَرْتَعَ الـنَّحْلِ وَالـفِكَرُ
نَكَادُ مِنْ خَلْقـه الجـمـيل نَسْتَجْمِعُ الـنَّفْسَ فِي الـبَصَرَ
عَبـيرُهُ لا يُمَلُّ شـمـا يَرَوِّحُ الـقَلْبَ وَهْوَ غـان
وَنُورُهُ قَـد يِقـال فـهـماً لِمَا يُرَى فِيـه مِنْ مَعَـانْ

❀

طَوَائِفٌ هـذهِ الأزَاهِر وَكُـلُّ حِزْبٍ لَهُ أَمِيـرْ
مَليـكُهَا الـورد لا يـكـابـر مـنَاظِرٌ فِيـه أوْ نَظِيرْ
تَقَلَّدَ الـتـاجَ مـن جوَاهِر وَقَـامَ لِلـحُكْمِ فِي السَّرِيـرْ
لَكِنْ يقَولُونَ جُـرْتِ ظُلْمـاً فِي الـزَّهْرِ يَا وَرْدَةَ الجِنَـانْ
لأَنْـتِ أَبْهَـى وأَنْتِ أَسْمَى مِنْ أَنْ تُقِيـمـي لِلْعَـدْلِ شَانْ

❀

خُلِقْتِ بَيْضَـاءَ كَالرَّجـاء فَهَامَ فِـي حُبِّكِ الـنَّسِيـمْ
فَـرَاحَ مُذْ دَارَ فِـي الـفَضَاءِ مُقَبِّـلاً ثَغْرَكِ الـوَسِيمْ
فَبِـتُّ فِـي حُمْرَةِ الحَيَـاء لِذَلِكَ الْمُنْكَـرِ الجَسِيـمْ

ذَنْـــبٌ تَحَمَّلْتُمَـــاهُ قِدْمَـــا فَلَبِثَ الْـــوَرْدُ وَهْـــوَ قَـــانْ[1]
كَذَاكَ جَـــاءَتْ حَـــوَّاءُ إِثْـــمًا فَعُوقِبَ النَّسْلُ غَيْـــرُ جَـــانْ

❁

فَدَتْكِ مَهْمَـــا كَسَبْتِ وِزْرًا أَزَاهِرُ الـــرَّوْضِ وَالْحِجَالْ[2]
أَلاَ فَتَـــاةٌ أَجَـــلُّ قَـــدْرًا كَرِيمَـــةَ الْخُلْـــقِ وَالْخِـــلاَلْ
تَبَرُّ بِالْـــبَائِسِينَ بِـــرًّا وَتَشْتَرِي أَنْفُـــساً بِمَـــالْ
كِلْتَـــاكُمَا ، وَرْدَةٌ تُسَـــمَّى لَكِنَّهَـــا وَرْدَةُ الْحِسَـــانْ
وَأَفْضَـــلُ الْوَرْدَتَيْنِ حُكْمـــاً جَمِيـــلَةُ الْقَلْـــبِ وَاللِّسَانْ

---

(١) قان : أحمر .

(٢) كسبت وزراً : جنيت ذنباً . الحجال : مقصورات النساء .

٤ تهنئة

لسمو الخديو عباس الثانى على أثر فتح السودان

أَلنِّيلُ عَبْدُكَ وَالمِيَاهُ جَوَارِى ... بِاليُمْنِ وَالبَرَكَاتِ فِيهِ جَوَارِ[1]

أَمَّنْتَهُ بِمَعَاقِلٍ وَجَوَارِى ... وَجَعَلْتَهُ مُلْكاً عَزِيزَ جِوَارِ[2]

أُنْظُرْ سَفَائِنَكَ الَّتِى سَيَّرْتَهَا ... فِيهِ كَأَطْوَادٍ عَلَى التَّيَّارِ

تَجْرِى «بِسَيِّدِ مِصْرَ» فُلْكٌ ضَمَّهَا ... فُلْكٌ مِنَ الدَّأْمَاءِ غَيْرُ مُدَارِ

سَيَّارَةٌ جُنْحَ الظَّلاَمِ مُنِيرَةٌ ... فِى الأُفْقِ مِثْلَ الكَوْكَبِ السَّيَّارِ

أَوْ يَسْتَقِلُّ بِهِ مُغِيرٌ مُنْجِدٌ ... جَوَّابُ آفَاقٍ كَبَرْقٍ وَارِي

تَتَقَذَّفُ النِّيرَانُ مِنْهُ كَأَنَّهُ ... أَسَدٌ مُثَارٌ فِى طِلاَبَةِ ثَارِ

سِرْ كَيْفَ شِئْتَ لَكَ القُلُوبُ مَنَازِلٌ ... أَنَّى انْتَقَلْتَ فَمِصْرُ فِى الأَمْصَارِ

---

(١) جوارى : خوادم .

(٢) جوارى : سفن .

أَهْلاً بِرَبِّ الـنِّيـلِ وَالـوَادِى بِمَا فِيـــــهِ مِنَ الأَرْيَافِ وَالأَقْطَارِ
بِالعازِمِ الـعزمَات وَهَي صَوَادِقٌ وَمُعَاقِبِ الـظُّلُمَاتِ بـــالأَسْحَارِ
بِالفَاتِحِ الـبَانِى لِمِصْرَ مِنَ العُلَى صَرْحــــــاً يُزَكِّى شَاهِدَ الآثَارِ
وَمُعَقِّبِ الفَخْرِ التَّلِيـــدِ بِطَارِفٍ لَوْلاَهُ كَادَ يَكُونَ سُبَّةَ عَارِ
فَخْرٌ تَحَوَّلَ مَهْدُهُ لَحـــــداً لَهُ زَمَنــاً وَعَادَ الـــيَوْمَ مَهْدَ فَخَارِ

٥ الى

جميـــلة أديبـة

يَا عيُوناً تَسْقى العيُونَ الـرَّحِيـقَا وَاصِلِي مُدْمِناً أَبَى أَنْ يُفـيِقَا[1]

أَسْكِرِيـنـى عَلَى الـدَّوَامِ وَأَفْنِى مُهْجَتى أَدْمُعـاً وَعَزْمِى حَرِيـقـاً

تِلْكَ خَمرُ الْحـيَاةِ مَنْ لَمْ يَذُقْهَا مرة لَيْسَ بِالحَيَاةِ خَلِيــــقَا

وَهْىَ حُسْنُ الْحيَاةِ سَعْداً وبُؤساً وَاصْطِبَـاحـاً لِشَرْبِهَا وَغَبُوقَا[2]

أَنْتِ يَا مَنْ سَقَتْ فُؤَادِىَ مِنْهَا حَرَّ وَجْدٍ وَلَوْعَة وَخُفُوقَا

إِظْلمِينِى مَا شَاءَ ظُلْمُكِ وَانْهِى آمِرَ الحُسنِ أَنْ يَكُونَ شَفِيـقَا

عَذِّبِينى فَقَدْ جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِـ ـسِى وَأَمْسَيْتُ بِالْعِقَابِ حَقِيـقَا

فَلِهَذَا الْعِقَابِ عَاوَدْتُ حُبِّى وَلأَلْقَاهُ خُنْتُ عَهْداً وَثِيــقَا

(١) الرحيق : الخمر . مدمناً ، المدمن : دائم السكر .

(٢) شربها : شاربيها . الاصطباح والاغباق : شرب الصباح وشرب المساء .

رُبَّ لَيْلٍ مُحَيَّرُ النَّجْمِ غَضٌّ ... فِيهِ لاَ يَهْتَدِى الضُّلُولُ طَرِيقاً

ضَمَّنِى مُثْقَلاً بِهَمٍّ كَبَحْرٍ ... ضَمَّ فِى جَوْفِهِ الْبَعِيدِ غَرِيقَا

أَحْسَبُ السُّرْجَ فِى حَشَاهُ قُرُوحًا ... وَأَرَى الشُّهْبَ فِى سَمَاهُ حُرُوقَا

فِيهِ نَامَتْ «سُعَادُ» نَوْمًا هَنِيئاً ... وَتَسَهَّدْتُ مُسْتَهَامًا مَسُوقَا

❁

حَيْثُمَا وارَتْنِى دُجَاهُ غُرُوباً ... أَبْصَرَتْنِى عَيْنُ الصَّبَاحِ شُرُوقَا

قَدْ تَلَقَّيْتُهُ وَكَانَ كَثِيفاً ... ثُمَّ وَدَّعْتُهُ وَكَانَ رَقِيقَا

رَقَّ فَانْحَلَّ فَانْتَفَى غَيْرَ مُبْقٍ ... لِيَ مِنْهُ إِلاَّ خَيَالاً دَقِيقَا

ظَلَّ فِى جَانِى نَحِيلاً نُحُولِى ... كَالشَّقِيقِ الأَبَرِّ يَرْعَى شَقِيقَا

❁

أَيُّهَا النَّائِمُونَ يَهْنِيكُمُ النَّوْ ... مَ وَلاَ زَالَ حَظِّىَ التَّأْرِيقَا

إِنْ يَكُ السَّاهِرُونَ مِثْلِى كَثِيراً ... «فَسُعَادُ» أَسْمَى وَأَسْنَى عَشِيقَا[1]

فَاتَنِى مِنْ جَمَالِهَا الْوَجْهُ طَلْقاً ... لاَ يُبَاهَى ، وَالْقَدُّ لَدْناً رَشِيقَا

---

(١) عشيقاً : معشوقة .

فَاتِنِى عَقْلُهَا الَّذِى يُبْدِعُ الْخَا طِرَ روحًا وَهَيْكَلاً وَعُرُوقَا

فَاتِى نَظْمُهَا الْقَرِيضَ كَمَــا تَنْظـ ـظِمُ عِقْداً فِى جِيدِهَا مَنْسُوقَا[1]

فَاتِنِى لُطْفُهَا الَّذِى يُنْعِشُ الوَجْـد وَلَوْ شَاءَ أَنْعَشَ التَوْفِــيــقَا

وَيَقُيمُ الآمَالَ فِى الـنَّفْسِ كَالـنُّو رِ يُحـيـلُ الْبُذُورَ زَهْراً أَنِيـقَا[2]

فِتَنٌ قَيَّدَتْ بِهِنَّ فُؤَادِى ، وَأَرَانِي - إِذَا شَكَوْتُ - عَقُوقَا

كُلُّ مُسْتَأْسَرٍ يَوَدُّ انْطِلاَقـــاً وَشَقَائى بِـأَنْ أَكُونَ طَلِيـــقَا

---

(١) القريض : الشعر .

(٢) انيقاً : جميلاً .

٦ النرجسة

دَاعٍ دَعَاهُ إِلَى الْجِهَادِ فَأَزْمَعَا سَفَراً وَجَادَ بِنَفْسِهِ مُتَطَوِّعَا
غَلَبَتْ حَمِيَّتُهُ هَوَاهُ لِعِرْسِهِ فَنَأَى وَوَدَّعَ قَلْبَهُ إِذْ وَدَّعَا(١)
وَقَضَتْ «أَمِيـــنَةُ» بَعْدَهُ أَيَّامَهَا فِى الحُزْنِ غَيْرَ أَمِيـنَةٍ أَنْ تُفْجَعَا
غـــرَسَتْ بِصَحْنِ الدَّارِ زَهْرَةَ نَرْجِسٍ لِتَكُونَ سَلْوَتَهَا إِلـــى أَنْ يَرجِعَا
كَانَتْ تُبَالِغُ فِى رِعَايَتِهـــا كَمَا تَرْعَى عُيُونُ الأُمِّ طِفْلاً مُرْضَعَا
حَتَّى إِذَا مَا جَاءهَا عَنْ بَعـــلِهَا نَبَأٌ أَصَمَّ المِسْمَعَيْنِ وَرَوعَا
شُقَّتْ مَرَارَتُهَا عَلَيْهِ وَأَوْشَكَتْ مِنْ هَوْلِ ذَاكَ الخَطْبِ أَنْ تَتَصَدَّعَا
وَكَـــأَنَّ ذَاكَ الرُّزْءَ قَبْلَ وُقُوعِهِ مِمَّا شَجَاهَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعَا(٢)
فَتَفَقَّدَتْ صُبْحـــاً أَلِيـــفَتَهَا الَّتِى كَانَتْ سَلَتْهَا حَسْرَةً وَتَوَجُّعَا
فَإِذَا نَضَارَتُهَا ذَوَتْ وَكَأَنَّهَا عَيْنٌ أَسَالَ الحُزْنُ مِنْهَا مَدْمَعَا

(١) عرسه : عروسه .
(٢) الرزء : المصاب .

٧ الحمامتان

حديث واقعة شهدها الناظم فى ليلة سهاد فكتبها وجعلها وسيلة استعطاف

يَا مَـــنْ أَضَاعُـــوا وِدَادِى رُدُّوا عَلَـــىَّ فُـــؤَادِي
رُدُّوا سُرُوراً تَـــقَضَّى وَمَا لَـــهُ مِنْ مَعَـــادِ
أَشْـــكُو إِلَى اللهِ سُـــقْمِي فِى بُعْـــدِكُمْ وَسُـــهَادِى
هَذَا شَقَائِـــى فِيـــكُمْ يَا غِبْطَـــةَ الْحُسَّـــادِ

❁

وَلَيْلَةٍ بِـــتُّ فِيـــهَا وَقَدْ جَفَـــانِى رُقَـــادِى
تُفْنِـــى الـــدَّقَائِقُ قَلْبِى وَرْيَـــاً كَوَرْى الـــزِّنَادِ(١)
مِنَ الـــصَّبَابَةِ مَهْـــدِي وَمِـــنْ سَقَامِـــى وِسَـــادِى(٢)

---

(١) ورى الزناد : قدح الزناد . (٢) وسادى : فراشى .

رَاعَتْ حَشَاىَ بِنَوْحٍ حَمَامَةٌ فِى ارْتِيَادِ
مُرْتَاعَةٌ لأَلِيفٍ لَمْ يَأتِ فِي المِيعَادِ
تَرُنُّ إِرْنَانَ ثُكْلَى مَفْقُودَةِ الأَوْلاَدِ
واللَّيْلَ دَاجٍ كَثِيفٌ كَأنَّه فِي حِدَادِ
تَرُوحُ فِيهِ وتَغْدُو كَثِيرَةَ التَّرْدَادِ
مَا بَيْنَ غُصْنٍ وَغُصْنٍ لَهَا طَوَافُ افْتِقَادِ
ولَمْ تَزَلْ فِى هُيَامٍ وَحَيْرَةٍ وَجِهَادِ
حَتَّى اسْتَقَرَّتْ عَيَاءَ مِنْ وَثْبِهَا المُتَمَادِى
مُنْحَلَّةَ الْعَزْمِ لَيْسَتْ تَقْوَى عَلَى الإِنْشَادِ
ظَمْأَى إِلَى المَوْتِ رِيَّا مِنَ الأَسَى وَالْبِعَادِ(١)
وَكَانَ يَسْعَى إِلَيْهَا أَلِيفُهَا غَيْرَ هَادِى
يَرْتَادُ كُلَّ مَكَانٍ فِى إِثْرِهَا وَهْوَ شَادِى
حَتَّى إِذَا سَمِعَتْهُ بِالْقُرْبِ مِنْهَا يُنَادِى

(١) ريا : مرتوية .

عَادَ الرَّخَاءَ إِلَيْهَا لَكِنْ بِغَيْرِ مُفَادِ
إِنَّ الرَّجَاءَ مُعِينٌ وَمَا الرَّجَاءُ بِفَادِ
هَمَّتْ تَطِيرُ إِلَيْهِ لَكِنْ عَدَتْهَا عَوَادِي
فَوَدَعَتْهُ بِنَوْحٍ مُفَتِّتِ الأَكْبَادِ
وَكَانَ آخِرَ سَجْعٍ لَهَا عَلَى الأَعْوَادِ

❁

يَا مَنْ نَأَوْا عَنْ عُيُونِي وَرَسْمُهُمْ فِي السَّوَادِ
وَأَجْهَدُوا الفِكْرَ وَثْباً إِلَيْهِمُ فِي الْبِلاَدِ
واسْتَنْفَدُوا زَفَرَاتِي وَأَدْمُعِي وَمِدَادِي
إِلَى مَ أَغْدُو حَزِيناً فِي غُرْبَةٍ وَانْفِرَادِ ؟
لِي فِي الْحَيَاةِ مُرَادٌ وَأَنْ أَرَاكُمْ مُرَادِي
لاَ تَجْعَلُوهُ وَدَاعِي عِنْدَ الْمَمَاتِ وَزَادِي

٨ تقـــريظ

لديوان شوقى

ضَمِنْتَ لِهَذَا الـعَهْدِ ذِكْراً مُخَلَّدَا   وجَدّدْتَ لِلإسْلاَمِ مُعْجِزَ أَحْمَدَا
وَبِتَّ لِمِصْرٍ بِالمَفَاخِرِ مَحْتِداً   وَمِنْ قَبْلُ كَانَتْ لِلْمَفَاخِرِ مَحْتِداً
أَطَافَ بِهَا لَيْلَ مِنَ الجَهْلِ حَالِكٌ   وَصُمَّتْ بِهَا الأَسْمَاعُ عَنْ دَعْوَةِ الْهُدَى
فَإِنْ قَلَّبَ المَحْزُونُ فِى الأُفْقِ طَرْفَهُ   فَلَيْسَ يَرَى إلاَّ ذَكَاءكَ فَرْقَدَا
وَمَنْ تَدْعُهُ يَرْدُدْ نِدَاءكَ لاَ يُجِبْ   كمـا رَجعَ الصَّخْرُ الأَصَمُّ لَكَ الصَّدَى

❁

لَكَ اللهُ مِنْ شَاكٍ عَنِ النَّاسِ دَهْرَهُمْ   عَلَى حِينَ لَمْ يَشْكُوا وَقَدْ جَارَ واعْتَدَى
وَمِنْ سَاهِرٍ يُفْنِى مَنَارَ حَيَاتِهِ   ضِيَاءَ لِيــهْدَى غــافِلِينَ وَرُقَّدَا
وَمِنْ نَاظِمٍ لِلْمُلْكِ تَاجَ فَرَائِدِ   مِنَ المَدْحِ: تِيجَانُ المُلُوكِ لَهُ فِدَى

وَمِنْ مُنْشِدٍ يُحْيِى فَخَارَ جُدُودِهِ ... فَيُكْسِبُهُمْ مَجْداً بِذَاكَ مُجَدَّدَا
إِذَا النَّسْلُ لَمْ يَحْفِلْ بِذِكْرِ جُدُودِهِ ... فَإِنَّ لَهُمْ مَوْتاً بِهِ مُتَعَدِّدَا
قَوَافٍ يَزِينُ الشِّعْرَ حُسْنُ نِظَامِهَا ... كَمَا ازْدَانَ كَأْسٌ بِالْحَبَابِ مُنَضَّدَا
وَسَبْكٌ يُعِيدُ اللَّفْظَ لَحْناً مُوَقَّعاً ... وَيُبْدِى لَنَا الْمَعْنَى الْخَفِىَّ مُجَسَّدَا

❁

أَسِحْراً تُرِينَا أَمْ صَحَائِفَ كُلَّمَا ... نُقَلِّبُهَا وَجْهاً نَرَى عَجَباً بَدَا
فَبَيْنَا هِىَ الرَّوْضُ الَّذِى تَشْتَهِى الْمُنَى ... تَعَاشَقَ فِيهِ النُّورُ وَالطِّيبُ وَالنَّدَى
إِذَا هِىَ أَنْهَارٌ تُقِرُّ عُيُونَنَا ... إِذَا هِىَ نِيرَانٌ تَثُورُ تَوَقُّدَا
إِذَا هِىَ أَفْلاكٌ بُسِطْنَ وَأَبْحُرٌ ... أَغَارَ بِهَا الْفُلْكُ الصَّغِيرُ وَأَنْجَدَا
إِذَا هِىَ آجَامٌ تَمُوجُ بِأُسْدِهَا ... وَأَوْدِيَةٌ يَرْعَى بِهَا الظَّبْىُ أَرْبَدَا
إِذَا هِىَ عِيسٌ فِى الْبَوَادِى مُجِدَّةٌ ... تَسِيرُ وَلاَ سَيْرٌ وَتُحْدِى وَلاَ حِدَا
إِذَا هِىَ حَرْبٌ يَخْلَعُ الْبِيدَ جَيْشُهَا ... نِعَالاً مَتَى هَبُّوا وَثُوباً عَلَى الْعِدَى
إِذَا هِىَ أَجْيَالُ الزَّمَانِ مُعَاهِداً ... بِهَا آدَمٌ مُوسَى وَعِيسَى مُحَمَّدَا
بَيَانُكَ سَيْفٌ لِلْحَقِيقَةِ سَاطِعٌ ... ذَلِيلٌ بِهِ الْبَاغِى قَتِيلٌ بِهِ الرَّدَى

بِشِعْرِكَ فَلْيَحْيَ الَّذِى جَلَّ فَضْلُهُ   وَمَاتَ جَدِيــــراً بِالْفَخَارِ مُؤَبَّدَا
وَذُو العِلْمِ فَلْيَخْتَرْ كِتَابَكَ مُؤْنِساً   كَرِيماً وَأُسْتَاذاً حكيــماً وَمُرْشِدَا

٩ شهيد المروءة

وشهيدة الغرام

(قصيدة قصصية)

سَيِّدَتـــــــــى إِنْ تُفْسِحِى ‏ لِى بِالْكَـــلاَمِ فَاسْـــمَحِى

أَقُصُّــــصْ عَلَى قُـــرَّاءِ ‏ نَشْــــرَتِكِ الْغَـــرَّاءِ

بِالـــنَّثْرِ أَوْ بِالـــشِّعْرِ ‏ أَيُّهِمَـــــــا لاَ أَدْرِى

حَـــــادِثَـــةٌ غَرِيـبَهْ ‏ مَاهِــــىَ بِالمَكْــــذُوبَهْ

أَنْقُلُهَــــــــا مُمَثَّلَهْ ‏ مُجْمَــــلَةً مُفَصَّـــــلَهْ

كَمَا جَرَتْ أَمَامــــــــى ‏ فِـــى قَـــرْيَةٍ بِالــشَّامِ

❀

وَذَاكَ أَنْ ذِيبــــــــــاً ‏ مُسْتَضْخَمـــاً مَهِيـــباً

طَرَقَهَا أَصِيلاَ يَبْغِي بِهَا مَقِيلاَ
فَخَرَجَ الرِّجَالُ إِلَيْهِ وَالأَطْفَالُ
فِى هَرَجٍ وَمَرَجٍ وَلَجَبٍ مُمْتَزِجِ[1]
أَتَاهُمُ الإِنْبَاءُ مُبَاغِتاً فَجَاؤُوا
عُزْلاً بِلاَ سِلاَحِ يُرْجَى سِوَى الصِّيَاحِ
وَوَقَفُوا بَعِيداً يُنَفِّرُونَ السِّيداَ[2]
وَانْتَظَمُوا هِلاَلاَ لِيُقْفِلُوا المَجَالاَ
فَامْتَنَعَ الدُّخُولُ عَلَيْهِ وَالْقُفُولُ
فَهْوَ أَمَامَ سُورِ يَمْشِي مِنَ الْحُضُورِ
وَخَلْفَهُ هِضَابُ شَوَامِخٌ صِعَابُ
وَلَمْ يُحَاوِلْ هَرَبَا مِنْ حَيْثُ كَانَ كَلِبَا
عَيْنَاهُ شُعْلَتَانِ يَرْنَحُ كَالسَّكْرَانِ
مُنْتَقِلاً عَلَى مَهَلْ كَالظِّلِّ فِى سَفْحِ الجَبَلْ

---

(١) لجب : ضجيج .

(٢) السيد : الذئب .

وَبَيْنَمَا الجُمْهُورُ　　　حَيْرَانُ مُسْتَطِيرُ

دائرةٌ مُشْتَبِكَهْ　　　فِى سَكْنَةٍ وَحَرَكَهْ

كَالبَحْرِ ذِى الهِيَاجِ　　　فِى مَكْسِرِ الأَمْوَاجِ

طَوْراً وَطَوْراً جَامِدُ　　　كَالمَاءِ وَهْوَ رَاكِدُ

كُلٌّ يَقُولُ مَا العَمَلْ　　　لِصَدِّهِ ، وَمَا الحِيَلْ ؟

إِذِ انْبَرَى شُجَاعُ　　　تَرْهَبُهُ ، السِّبَاعُ

كَانَ اسْمُهُ «أَدِيبَا»　　　وَبَأْسُهُ عَجِيبَا

بَدَا مِنَ الجُمْهُورِ　　　بِمَظْهَرِ الأَمِيرِ

وَسَارَ نَحْوَ الذِّيبِ　　　بِكِبَرٍ غَرِيبِ

يَمْشِى وَلاَ يُبَالِى　　　كَالأَسَدِ الرِّئْبَالِ

يَدِقُّ وَهْوَ نَائِى　　　فِى عَيْنِ كُلِّ رَائِى[1]

وَالرَّوْعُ فِى تَعَاظُمِ　　　وَالخَطْبُ فِى تَفَاقُمِ

حَتَّى إِذَا مَا اقْتَرَبَا　　　مِنْهُ عَوَى وَاضْطَرَبَا

وَنَبَّهَ الأَصْدَاءَ　　　فَامْتَلاَتْ عُوَاءَ

---

(١) يدق : يصغر .

ثُمَّ مَشَـــــى ثُمَّ جَــــرَى مُسْـــــتَقْبَلاً وَمُدْبِـــــرَا
مُسَـــــاوِراً مُقَاتِلَـــــهْ مُدَارِيـــــاً مَقَـــــاتِلَهْ[1]
مُحَـــــاوِلاً مُحْتَرِســـــاً مُصَـــــاوِلاً مُخْتَلِسَـــــا
وَالـــشَّمْسُ فِى شُـــحُوبِ هُنَيْهَـــــةَ الْغُـــــرُوبِ
وَالـــنَّاسُ فِى تَخَـــوُّفِ مِـــنْ هَـــوْلِ ذَاكَ المَوْقِـــفِ
يَرَوْنَ نَحْـــوَ الْجَبَـــلِ ظِلَّيْنِ فِـــى تَنَقُّـــلِ
حِيـــناً عَلَى تَلاَقِـــى ثُـــمَّ عَلَـــى افْتِرَاقِ
ثُمَّ عَلَـــى اشْـــتِبَاكِ ثُمَّ عَلَـــى انْفِكَـــاكِ
وَبَيْنَمَا هُـــمْ فِـــى هَلَعْ إِذْ سَـــمِعُوا صَوْتـــاً صَـــدَعْ
فَصَـــكَّ فِـــى الآذَانِ كَطَـــرْقَةِ الـــسِّنْدَانِ
ثُمَّ عُـــوَاءَ مُزْعِجَـــا مُطَّـــرِداً مُـــــرَجْرَجَـــا
ثُمَّ عُـــوَاءً أَضْعَفَـــا مُقَطَّعَـــــاً مُخَطَّفَـــا
وَأَبْصَرُوا الـــذِّءْبَ جَـــرَى إِلَى بَعِـــــيدٍ مُدْبِـــرَا

---

(١) مساوراً : مجاولا

ثُمَّ سَجَا ثُمَّ الْتَوَى وَسَارَ شَوْطاً وَهَوَى[1]

❁

وَعَادَ مِنْ سَفْحِ الْجَبَلْ «أَدِيبُ» عَوْدَةَ الْبَطَلْ

وَهْوَ كَلِيلٌ مُتْعَبُ بِدَمِهِ مُخَضَّبُ

حِذَاؤُهُ مُشَقَّقُ وَثَوْبُهُ مُمَزَّقُ

وَقَالَ أَجْهَزْتُ وَلاَ فَخَرَ عَلَى كَلْبِ الْفَلاَ

فَهَنَّأُوهُ فَرَحَا وَأَمْطَرُوهُ مِدَحَا

وَدَرَجَ الأَطْفَالُ كَأَنَّهُمْ أَحْجَالُ

فَرَجَعُوا بِالسَّيِّدِ فِي مَشْهَدٍ مَشْهُودِ

وَعَلَتِ الأَصْوَاتُ وَرُفِعَتْ رَايَاتُ

وَطِيفَ فِي الأَسْوَاقِ بِهِ عَلَى انْتِسَاقِ

ثُمَّ رَمَوْا فِي خَنْدَقِ بِشِلْوِهِ الْمُفَلَّقِ[2]

فَجَاءَهُ الْكِلاَبُ عَصَائِباً تَنْتَابُ

فَابْتُلِيَتْ بِالدَّاءِ وَعَمَّ كَالْوَبَاءِ

---

(١) سجا : هدأ .
(٢) شلوه : جسده .

فَجَــــزِعَ الـــــسُّكَّانُ وَانْقَطَــــعُ الأَمَـــانُ

وَاحْتَجَـــــبَ الآبَـــــاءُ وَاحـــــــتَبَسَ الأَبْنَــاءُ

وَامْتَنَعَ الــــــــذَّهَابُ فِى الـــــــسُّوقِ وَالإِيَابُ

وَالأَخْـــــــــذُ وَالْعَطَاءُ وَالْبَيْـــــعُ وَالــــــشِّرَاءُ

فَبُثَّـــــتِ الْجُنُـــــودُ تَرْقُـــــبُ وَتَـــــرُودُ

فَأَفْنَـــــوُا الـــــكِلاَبَا وَسَـــــكَّنُوا الأَلْبَـــابَـــا

❀

كَانَتْ مِنَ الــــــــشُّهُودِ فِـــــى المَوْقِـــــفِ المَشْهُودِ

يَوْمَ هَلاَكِ الــــــذِّيـــــبِ عَلَى يَدَىْ «أَدِيـــــــبِ»

فُتَيَّـــــــةٌ عَـــــذْرَاءُ جَمِيـــــلَةٌ غَـــــرَّاءُ

طَاهِـــــــرَةُ الْفُـــــؤَادِ عَفِيــــــــــفَةُ الْـــوِدَادِ

قَوَامُهَــــــا كَالـــــرَّنْدِ وَخَــــــدُّهَا كَالـــــوَرْدِ

وَعَيْنُهَــــــا الـــــزَّرْقَاءُ تَحْسُـــــدُهَا الـــــسَّمَاءُ

كَانَـــتْ لَهُ خَطِيــــــــبَهْ يَدْعُونَهَـــا «لَبِـــــــيبَهْ»

وَكَـانَ مَوعِـدُ الـزِّفَا   فِ لَهُمَـا قَـدْ أَزِفَـا[1]

فِـى أَرْبَعِينَ خَالِيَـهْ   مِنَ الـلَّيَالِى الـتَّالِيَهْ

يَغْدُو «أَدِيـبُ» بَعْلَهَـا   فَهْىَ لَـهُ وَهْـوَ لَـهَا

لَمَّا رَأَتْـهُ أَقْدَمَـا   مُسْتَبْسِـلاً مُقْتَحِمَـا

وَرَاحَ يَلْقَـى «السِّيـدَا»   مُنْفَـرِداً وَحِيـدَا

هَمَّتْ بِـأَنْ تَتْبَعَـهُ   رَجَـاءَ أَنْ تَمْنَعَـهُ

أَوْ أَنْ تُمِـيتَ السَّبُعَـا .   أَوْ يَهْلِكَـا إِذَنْ مَعَـا

عَـدَتْ وَلَمْ تُبَـالِ   فَاسْتُوقِفَتْ فِـى الحَـالِ

فَلَبِثَـتْ تَنْتَظِـرُ   وَقَلْبُهَـا مُنْفَطِـرُ

مَشْغُـولَةً مُضْطَـرِبَهْ   تَدْعُـو لَهُ بِالْـغَلَبَهْ

حَتَّـى رَأَتْ مَرْجِعَـهُ   وَقَـدْ قَضَـى مَطْمَعَهُ

مُفْتَخِـراً مُـدِلاًّ   مُـعَظَّماً مُعَلَّـى

فَجَذِلَـتْ كَثِـيراً   حَتَّـى بَكَـتْ سُرُوراً

وَأَقْبَلَـتْ عَلَيْهِ   وَضَمَّـدَتْ جُرْحَيْـهِ

---

(١) أزف : قرب .

فَلَزِمَ البَيْتَ وَفِى   يَوْمَيْنِ بَعْدَهَا شُفِى
وَبُدِئَ الإِعْدَادُ   لِفَرَحٍ يُجَادُ
فَهَيَّأُوا المَلْبُوسَا   وَجَهَّزُوا الْعَرُوسَا
وَاشْتَرَوُا الْحَرِيرَا   وَأَتْقَنُوا السَّرِيرَا
وَاجْتَمَعَ الْجِيرَانُ   وَالأَهْلُ وَالْخِلاَّنُ
فِى مَنْزِلِ الحَلِيلِ   بِمَحْفِلٍ جَلِيلِ
يَوْمَ الثَّمَانِى وَالثَّلاَ   ثِينَ لإِهْدَاءِ الحُلَى
جَرْيًا عَلَى المُعْتَادِ   فِى هَذِهِ الْبِلاَدِ
فَفِرْقَةُ النِّسَاءِ   فِى الرَّقْصِ وَالْغِنَاءِ
وَفِرْقَةُ الشُّبَّانِ   فِى الشُّرْبِ وَالتَّهَانِى
وَبَيْنَمَا هُمْ فِى فَرَحْ   وَلاَ مَظَنَّ لِلتَّرَحْ
إِذِ اشْتَكَى «أَدِيبُ»   حَرَارَةً تُذِيبُ
وَقَامَ بِارْتِعَاشِ   فَوْرًا إِلَى الْفِرَاشِ
فَاسْتَوْصَفُوا دَجَّالاَ   بِطِبِّهِ مُحْتَالاَ

فَجَسَّ نَبْضَ السَّاعِدِ جَسَّ الْحكيمِ الرَّاشِدِ
وَخَطَّ رَسْماً مُبْهَمَا عَقْرَبَهُ وَأَعْجَمَا
وَجَاءَهُ فِى غَدِهِ ببِدَعٍ لَمْ تُجْدِهِ
وَكَرَّرَ الْعِيَادَهْ لَهُ بِلاَ إفَادَهْ
يُنْقَدُ فَوْراً أَجْرَهُ ثُمَّ يُوَلِّى ظَهْرَهُ
وَالضَّعْفُ فِى ازْدِيَادِ وَالدَّاءُ فِى اشْتِدَادِ
وَهْوَ يَقُولُ لاَ مَرَضْ وَإِنَّمَا هَذَا عَرَضْ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ سَجَا نَامَ «أَدِيبٌ» مُزْعَجَا
وَكَانَ لَيْلَ الْعُرُسِ لَيْلَ ابْتِهَاجِ الأَنْفُسِ
فِى غَدِهِ الزِّفَافُ وَالعَزْفُ وَالطَّوَافُ
فَالنَّاسُ فِى سُرُورِ لِلْبَاسِلِ الْمَشْهُورِ
وَالخَيْلُ فِى اسْتِعْدَادِ وَالرَّكْبُ فِى تَنَادِى[1]
وَكُلُّ ذِى مَكَانِ وَكُلُّ ذَاتِ شَانِ

(١) تنادى : ينادى بعضهم بعضاً .

فِـى أُهْبَـةِ المَسِيـرِ بِالمَوْكِبِ الْكَبِيـرِ
يُمَهِّدُونَ لِلْغَـدِ وَالْمَوْتُ مَمْدُودُ الْيَـدِ

❁

وَإِذْ مَضَـى قَلِيلُ تَنَبَّـهَ الْعَلِيلُ
كَقِطْعَـةِ الْحَدِيـدِ فِـى اللَّهَبِ الشَّدِيدِ
فَهَبَّ يُرْغِـى مُزْبِدَا وَقَدْ تَجَافَى المَرْقَدَا
وَاضْطَرَمَتْ عَيْنَاهُ وَاضْطَرَبَتْ أَحْشَاهُ
وَشُنِّجَتْ أَعْصَابُهُ وَبَرَزَتْ أَنْيَابُهُ
فَمَزَّقَ الْكِسَاءَ وَبَعْثَرَ الأَشْيَاءَ
وَكَسَّرَ الزُّجَاجَا وَأَطْفَأَ السِّرَاجَا
ثُمَّ مَضَى عُرْيَانَا لاَ يَهْتَدِي مَكَانَا
كَالسَّبُعِ الْمُسْتَوْحِشِ يَعْوِى بِصَوْتٍ رَعِشِ
يَسْقُطُ آنـًا وَيَقِفْ يَسْكُنُ ثُمَّ يَرْتَجِفْ
يَسْتَنْبِحُ الْكِلاَبَا وَيَقْرَعُ الأَبْوَابَا

يُصَـــــدِّعُ الـــــنِّيَامَا   وَيـــــفْزِعُ الْقِيَـــــامَا

❁

وأَرِقَــــتْ «لَبِيبَــــهْ»   لاَ تَعْلَـمُ المُصِيــــبَهْ

تَفْكُــــرُ فِـــى اسْــتِكْمَالِ   مَظَـــاهِرِ الجَمَـــالِ

وَتُقْلِــــقُ المَرَائِــــى   بِـكَثْـــــرة التَّرَائِــى

تَــأْوِى إِلــى مَرْقَدِهَـــا   مَشْغُــــولَةً بِغَدِهَـــا

حَتَّــى إِذَا مَــا ذَكَــرَتْ   أَمْراً جَدِيـــداً نَفَـــرَتْ

تُجَــــرِّبُ الْحِــــذَاء   أَوْ تُصْلِــــحُ الْكِسَـــاءَ

ثُـــمَّ تَعُــودُ مُتْعَبَـــهْ   إِلـــى الـسَّرِيــرِ مُوصَبَهْ

يَرُوحُ أَمْـــرٌ وَيَجِـــى   فِـــى فِكْرِهَـــا المُخْتَلِجِ

تَقُـــولُ جَــذْلَى بَاكِيَـــهْ   خَائِفَــــةً وَرَاجِيَــــهْ :

رَبِّـــى أَأَلْقَـــاهُ غَـــدَا   بِجَانِـــبِى فَأَسْــــعَدَا ؟

وَكَيْــفَ يَأْتِـــى مَضْجَعِـــى   لاَ أَحَـدٌ فِيـــهِ مَعِـى ؟

وَمَا الَّـــذِى يَحْلُـــو لَـــهُ   مِنِّـــى أَنْ أَقُـــولَهْ ؟

«أَديـــبُ» يَا فَخْـــرَ الـــصبَّا   كُـــنْ لِـــىَ بَعْـــلاً وأَبَـــا

يَا أَبْـــلَ الـــشُّجْعَانِ   وأَفْـــــرَسَ الْفُرْسَـــانِ

أَميـــــرَهُمْ فِـــى الحَـــرْبِ   وَخَيْرَهُـــمْ فِـــى الْحـــبِّ

أَهْـــواكَ مَـــــوْلاَىَ ولاَ   أَهْوَى سِـــواكَ رَجُـــلاَ

إِنِّـــى غَـــداً أَوْ أُقْتَـــلاَ   أَسْـــعَدُ مَـــنْ تَأَهَّـــلاَ

❁

وكَـــانَ بَعْـــضُ الـــنَّاسِ   وَزُمْـــــرَةَ الْحُـــراَّسِ

قَـــدْ حَمَلُـــوا «أَديـــبَا»   بِدَمِـــهِ خَضيـــــــبَا

يَتْبَعُهُـــــمْ جُمْهُـــــورُ   مِـــنْ حَـــبِّهِ غَفيـــــرُ

كُـــــلٌّ يَقُـــولُ مَا بِهِ   يَسْـــأَلُ عَـــنْ مُصَـــابِهِ

فَصَاحَ شَـــيْخٌ فِى الـــلَّجَبْ   إِنَّ بِـــــهِ دَاءَ الـــكَلَبْ

وَهْـــوَ شَدِيـــدُ الـــصَّرْعِ   غَيْرُ طَوِيـــــلِ الـــنَّزْعِ

فَمَـــــوْتُهُ قَرِيـــــبُ   وَيَنْتَهِـــى الـــتَّعْذِيـــبُ

❁

فَقَيَّـــدُوهُ عَجَـــلاَ   فِـــى غُرْفَـــةٍ مُنْعَزِلاَ
وَكَـــانَ وَهْـــوَ ثَائِرُ   إِذَا أَتَـــاهُ زَائِـــرُ
كَشَّرَ عَـــنْ أَضْـــرَاسِهِ   وَهَـــمَّ بِافْتِرَاسِـــهِ
وَأَرْسَـــلُوا مَـــنْ أَخْبَرَا   «لَبِيـــبَةً» بِمَـــا جَـــرَى
فَأَقْبَلَـــتْ مُنْكَمِشَـــهْ   مَذْعُـــورَةً مُرْتَعِشَـــهْ(١)
وَدَخَلَـــتْ مُجْتَرِئَـــهْ   غُـــرْفَتَهُ مُخْتَبِئَـــهْ
وَكَـــانَ فِـــى سُـــكُونِ   مِـــنْ ثَـــوْرَةِ الْجُنُـــونِ
مُسْـــتَغْرِبَ الْقُيُـــودِ   يَعْبَـــثُ بِالْحَدِيـــدِ
فَابْتَسَـــمَتْ تَكَلُّفَـــا   وَهْـــىَ تَمُـــوتُ كَلَفَـــا
فَهَشَّ مَسْرُوراً بِهَـــا   وَبَـــشَّ حِـــينَ قُرْبِهَـــا
كَالأَسَـــدِ المَرِيـــضِ   مُلْقًـــى عَلَـــى الْحَضِيـــضِ
عَادَتْـــهُ بِالْعَرِيـــنِ   إِحْـــدَى الظِّبَاءِ الْعِـــينِ
سَـــارِحَةٌ حِيَـــالَهْ   مَارِحَـــةٌ مُحْتَـــالَهْ
هَـــوَ إِلَيْهَـــا رَانِى   يَفْتَـــرُّ كَالْجَـــذْلاَنِ(٢)

(١) منكمشة : مسرعة .
(٢) رانى : ناظر بتامل . يفتر : يبتسم .

ظَلَّ قَلِيـلاً يَبْسِـمُ   يُصْـغِي وَلاَ يُكَلِّـمُ

ثُمَّ شَـكَا ثُـمَّ زَفَرْ   ثُـمَّ بَكَـى ثُـمَّ نَفَرْ

وَعَضَّهَـا فِـى صَدْرِهَـا   وَرَأْسِـهَا وَنَحْرِهَـا

فَلَمْ تُحَـاوِلِ الـهَرَبْ   مِنْ هَـوْلِ ذَلِـكَ الـغَضَبْ

وَعَرَّضَـتْ حَيَاتَهَـا   مُؤْثِـرَةً مَمَاتَهَـا

فَظَـلَّ فِـى إِيلاَمِهَا   وَهْـىَ عَلَـى اسْتِسْلاَمِهَـا

حَتَّـى تَوَلَّى عُنْقَهَـا   بِالْيَـدِ يَبْغِـى خَنْقَهَـا

❁

فَاسْتَصْرَخَتْ مِنَ الْـوَجَعْ   وَبَعْـدَهَا الـصَّوْتُ انْقَطَـعْ

فَأَبْصَرُوهَـا هَامِـدَهْ   بَيْنَ يَدَيْـهِ بَـارِدَهْ

ثُـمَّ صَحَـا وَأَدْرَكَـا   مَـا قَدْ جَنَاهُ فَبَكَـى

وَصَـاحَ يَا لَلنَّـاسِ   لِحَسْـرَتِى وَيَأْسِـى !

وَيَا لَهَـذَا الْعَـارِ   مَنْ مُحْـرِقِى بِالنَّـارِ ؟!

يَا قُرَّةَ النَّـوَاظِـرِ   وَبَهْجَـةَ الخَوَاطِـرِ

لاَ تَستَطِيــــــرِى جَزَعَــا إنِّــــى آتٍ مُسْرِعَـــــا

أَلْيَــــومَ يَـــــومُ عُرْسِنَا وَالْمُلْتَقَـــــى فِــــى رَمْسِنَا

ثُـــمَّ هَـــوَى مُعَفَّـــرا وَمَـــاتَ مَوْتـــاً مُنْكَرَا

فَشُـــيِّعَ الـــزَّوْجَـــانِ فِــى شَكْلِ مِهْرَجـــــانِ

وَمُنْتَهَـــــى الــــسَّرَّاءِ كَمُنْتَهَـــــى الــــضَّرَّاءِ

لَـــمْ يَسْـعَدَا فِى الْعُمْــرِ فَسَـعِدَا فِــى الْقَبْـرِ

❁

رَاحَ فِـــــدَاءَ فَضْــــلِهِ وَاستَبْسَــــلَتْ لأَجْـــلِهِ

كِلاَهُمَــا شَهِيـــــــدُ وَمَوْتُــهُ حَمِيــــــــدُ

١٠ الـوردة والزنبقة

تفـقدتهـا والفجـر يفتح جـفنه كما انتبه الوسنان والجفن مُثَقلُ

فطفت عـلى الأزهار فى أمن نومـهـا أنبـهـهـا جـذباً إلىَّ فـتُجـفل

أحـاول سلواناً بتـشكيل طاقـةٍ فـأقتـل منها مـا أشـاءُ وأُشكِلُ

إلى أن بدت لى وردة مسـتكينة كـأن دموع الفـجر فـيهـا تَهلَّلُ

لهـا طلعة الجـاه المؤثل والصِّبى وفى الوجـه تقطيب لمن يتـأمَّل

تلوح علـيـهـا للـكآبةَ والأسى مـخايـل دَقَّت أن تُرى فتُخـيَّلُ

ويكسـبهـا معنى الحـياة ذُبُولهـا لدى ناظريها فهى فى النفس أجملُ

مليكة ذاك الروض جاور عرشَها من الزنبق العـاتى مليكٌ مُكلَّلُ

أغَرُّ المحـيـاً كـالـصـبـاح نَقَيـهٌ له قامـةٌ كالرمح أو هـى أعدلُ

إذا مااستمالتهُ إلى الوردة الصِّبا فـلا يـنثنى كِبـراً ولا يَتَحـوَّلُ

حبيبان سُرَّاً ساعةً ثم عُوقِبا طويلاً كذاك الدَهرُ يَسْخُو ويبخُلُ
وإن لهذين العشيقين حادثاً غريباً بوُدِّى أن أرى كيف يكْمُلُ
فقد جاورت هذى الوفية إلفها إذ الإلف قيَّاس المَعَاطِفِ أميَلُ
فكان إذا مرت به نسم الصبا يسرُّ إليها سِرَّ من يتغزلُ
يداعبها جُهْد الصبابة والهوى ويعرض عنها لاعباً ثم يُقْبلُ
ويرشف كلٌّ من جبين حبيبه دفوع الذى خمراً رحيقاً فيثملُ
ولكنه لم يلبث الغصن أن جفا فلم تثنِ عِطِفْ جنوبٌ وشمالُ
فشق عليها بينه وهو جارها وباتت لفرط الحزن تنوى وتنجُلُ
وعما قليل يَقْضِيَانِ من الجَوىْ وإن صح ظنى فهى تَهلكُ أوَّلُ

❁

همَا صورتانا فى الهوى وحديثنا حديثهما بين الأزاهر يُنْقَلُ
أُقَبِّلُ ذاك الغصن كل صبيحة كأنى للنائى الحبيب أقبلُ
وأنظر أختى فى الشقاء كأننى أرانى بمرآةٍ أموتُ وأذبُلُ

١١ المســاء

شاكٍ إلى البحر اضطراب خواطِرى   فـيــجـيـبـنــى برياحِهِ الهــوجـاءِ

ثاوٍ على صخـر أصم وليت لى   قلبـاً كهـذى الصخـرةِ الصمـاءِ

يتـنـابهـا موجٌ كـمـوج مكارهى   ويفـتهـا كالسـقم فى أعضـائى

والبحـرُ خفاقُ الجـوانب ضائقٌ   كمـداً كصدرى سـاعة الإمـساء

تغـشى البـرية كـدرةُ وكـأنهـا   صعدت إلى عـينىَّ من أحشائى

والأفقُ مــعـتكرُ قــريحُ جُفنه   يُغضِى على الغمـراتِ والأقذاء

❁

يا للغـروب ومــا به من عِبـرَةٍ   للمـسـتـهـام ! وعبـرة للرائى !

أو ليس نزعـاً للنهـارِ وصـرعـةً   للشـمسِ بين مـآتمِ الأضـواء ؟

❁

ولقــد ذكــرتُك والنهــارُ مــودعٌ   والقلــبُ بين مــهـــابةٍ ورجـــاء

وخــواطرى تبدو تجـاه نواظرى   كلمى كـداميـه السحـاب إزائى

والدمعُ من جفنى يسيلُ معشقاً   بين الشـعــاعِ الغــاربِ المتـرائى

والشمسُ فى شفقٍ يسيلُ نضُارهُ   فوق العـقيق علــى ذرى سوداء

مــرَّت خلال غــمــامتين تحــدراً   وتَقَطرَّت كــالدمــعــة الحــمــراء

فكأن آخــر دمــعــةٍ للكون قــد   نُزِحَتْ بـآخِرِ أدمُعى لـرثـائـى

وكــــأنَّنـى آنستُ يَومــى زائلاً   فــرأيتُ فى المِرآةِ كيـف مسـائى

١٢ الزنبقة

طُفْتُ والصُّبْحَ طَالِباً فِى الْجِنَانِ سَلْوَةً مِنْ نَوَاصِبِ الأَشْجَانِ
فَنَفَى حُسْنُهَا عَنْ ضَمِيرِى وجَلاَ نَاظِرِى وسَرَّ جَنَانِى[١]
زَنْبَقٌ نَاصِعُ الْبَيَاضِ نَقِىٌّ تَرْتَوِى مِنْ بَيَاضِهِ الْعَيْنَانِ
وجُفُونٌ مِنْ نَرْجِسٍ دَاخَلَتْهَا صُفْرَةُ الدَّاءِ فِى مَحَاجِرِ عَانِى
وَوُرُودٌ كَأَنَّهَا مَلِكَاتٌ بَرَزَتْ فِى غَلاَئِلِ الأَرْجُوَانِ
وأَفَانِينُ مِنْ شَقِيقٍ ومِنْ فُلٍّ ومِنْ مُضَعَّفٍ ومِنْ رَيْحَانِ
كُلُّ ضَرْبٍ شَبِيهُهُ سِرْبٌ جَمِيع مُفْرَدٍ عَنْ لِدَاتِهِ فِى مَكَانِ[٢]
طَالَ فِيهَا تَأَمُّلِى وكَأَنِّى كُنْتُ مِنْهَا فِى رَوْضِ عِينٍ حِسَانِ

---

(١) جنانى : قلبى .

(٢) لداته : أشباهه .

فَتَوَخَّيْتُ مُشْبِهـــــــاً «لأليسٍ» بَيْنَهَا فِى صِفَاتِهَا وَالْمَعَانِى[1]

فَإِذا الْبَاهِرُ الـــنَّقِّي مِنَ الـــزَّ نْبَقِ مِرْآةُ حُسْنِهَا الْفَتَّانِ

رَسْمُهَا فِى سَنَائـــــهَا وَسَنَاهَا وَصَدَّى لاِسْمِها أَوِ اسْمٌ ثَانِى[2]

فِيـــه مِنْهَا الْبَهَاءُ وَالْقَامَةُ الـهَيْـ ـفَاءُ والـلَّونُ صُورَةُ الـوِجْدَانِ

وَالْعَبِيـــــــرُ الَّذِى يُحَدِّثُ عَمَّا فِى الضَّمِيرِ الأَخْفَى بِأَذْكَى بَيَانِ

وَالشُّعَاعُ الَّذِى بِهِ يُرِى الْبَغْىَ زُهْراً وَيُرِيهَا آزَاهِراً فـــــــــى آنِ

فَهْىَ فِى الرَّوْضِ والنُّجُومُ قَوَاصٍ وَهْىَ فِى الأَوْجِ والنُّجُومُ دَوانِى

تَتَرَاءَى الـــــسَّمَاءُ الأَرْضُ كُلٌّ فِي سِوَاهـــــا وَتَلْتَقِى الْجَنَّتَانِ

❁

إِنَمـــــا النَّرْجِسُ ابْتِسَامَةُ فَجْرٍ أَلْطَفَتْ نَسْجَهَا يَدُ الـــــرَّحْمَنِ

قَامَ فِى حُلَّةِ الْبَيَاضِ فَكَانَتْ ثَوْبَ رُوحٍ لاَ ثَوْبَ جِسْمٍ فَانِى

اسْتَزَادَ الْحِلَى سِوَاهَا فَجَاءَتْ حَيْثُ زَادَتْ عَلاَئِمَ الـــنُّقْصَانِ

---

(١) أليس : اسم آنسة فرنسوية .

(٢) ذلك أن اسم الزنبقة فى الفرنسوية «ليس» والصدى يضيع الحرف الأول من اسم «أليس» فما يبقى يكون اسم الزنبقة ولو بقى الاسم على أصله لصح أن يسمى الزنبق به لما اتصفت به تلك الفتاة من المحاسن .

هَكَذَا سِرٌّ كُلٍّ حَيٍ نَرَاهُ   خَلَلَ الـــشَّكْلِ بـــادِيـــاً لِلْعَيَانِ

فَنَرَى أَنْفُسَ الْحِسَانِ حِسَانـــــاً   حَيْثُمَا هُنَّ عَنْ حُلِيٍّ غَوَانِي

ونَرَى أَنْفُـــسَ الأَزَاهِـــر غُرّاً   إِذْ نَرَاهَا عَفِيـــــــفَةَ الأَلْـــوَانِ

١٣ الشاعر والطائر

يـا أيُّهـــا الطَّائر المُغَنِّى بلا نـثـــيـــر ولا نظـيم
من لـى بشـــدو طـليـق فن كـــشـــدوك المطْرب الـرَّخـيم
فـــأنت تـشـدُّو بـلا بيـــان مـــا تـشـــاءُ المُنى تُجِيـــد
ونحـن بالـلفـظ والمعــــانى نعـــجـــزُ عن بـعض مـــا نُرِيدُ
أعْرِ جنـاحـــيـك يا رفـــيق أَطِرْ وامــــــرح خـلـىَّ بَالْ
من ســاكِب النور لى رحـيق وفـــسْحِةِ الجـــو لى مَجَالْ
أشـــرِق وأَغْرِبْ بـلا مـــرام فـــــلا مـكَانُ ولا زَمَانْ
ولا هُيَـــامَ إلاَّ هـــيَامِـــى بـــين الـسَّمَوات والجـنـــان

❁

طِرْبِى وأنـتَ الأخُ الرفـــيقْ إلى مـــقـــر مـن الأنَامْ

لا عـــذر فـيـــه ولا عـقـــوق ولا رياء ولا خـــــصــــــام

مــــا أجـمـل الـكونَ عن قَصىًّ وأبـــــدعَ الأرضَ مــــن غِل

لهـــــارب فــــــاز بـالرقـىٍّ تـنحـطّ عـنه ويعـــــتلى

أعـــجب بمرأى هذى الجـبـــال منخــفـــضــــاتٍ إلى المهــاد

حـتـى غـدت وهى كـــالظلال من النجـــلال ومن ســـــواد

أعـــجب بمرأى هـذى المبـــانى عـــفت كــأن لم تكـن ديار

وكـيف صـــارت خُضـرُ الجِنانِ مـــن ازدهـــاء إلـــى بـــوار

مــا أبهج النور فى عــيــونى مــا أطيب النفس فى الخـــلاء

شـــفـــانـى الله من جنـونى والبـــعـد عن خلقـه شـقـاء

١٤ زهرة ساهرتى

بَاتَتْ لـــــــــــدىَّ وطَالَعَتْ	مــــا لا يُطَالِعـــــــهُ سَواها
حـــسناءُ مـن وردِ الخـــمـــا	ئلِ أبـهـــجـتَ نظـرى حِلاَها
قـــــامت علـى مـــتـــــأوِّدٍ	من قـــــدِها حُلوِ الـتـــثـنى
وكـــــأنما فـــيـــهـــا الحِلَى	كَمُلتْ عـلـى قـــــدر الـتَمنَّى
يـجلـو مُحـــيَّاها بـيـــــا	ضٌ شفَ عن أدنـى أحـمــرار
مـــتـــرقِّصٌ فـــيـــه الـندى	بالنـور فــوق حـجــاب نارِ
مـــــــتـكـوفٌ أوراقُهـــــــا	بـعضٌ عـلـى بعـضٍ بـعطـف
ولـكـل واحــــــــدةِ ثـنـا	يا الشـغـيـر حين سـمـا لرَشْفِ
بَاتَتْ وكـــأسُ الماءِ مـــسكـنـ	ـهـا ومَوْردها جـمـيـعـاً
فـى مَوْضِعٍ مـنـه تطـل عـلــ	ـى إطـلالاً بـديـعـــــــاً

وإخـــــالُهـــــا سَهَرتْ عـلىَّ   الليـلَ مُصـغـيـــةً رفـــيـقــة

وإخـــــالُهـــــا نظـرت أو   اسـتـمـعت نوازِعى الرقـيـقـة

حــــتى إذا لاَحَ الصَّبـــــا   حُ لمحَتُ فــيـهـــا كــالذُبولِ

مــن إثْرِ مـــــــا شَهِدتهُ مـن   آلام مـــــهـــجـــتى العلـيلِ

لكــن بعـــثتُ بـهـــا ، وفى   المعـنى شـــفــيعٌ لـلهـــديةْ

فـــلأجل أن تـلقـــاكِ قـــد   أعـــددَتُهـــا منذ العـــشـيّةْ

١٥ بعد انقضاء الشباب

مِنْ بَقَايَا الـــشَّبَابِ فِي وَادِى قَلْبِىَ الْمُســـتكِـينْ
دَهْرَةٌ فِى شُـحُوبِهَا الْبَــادِى ظَمَــأٌ مِــنْ سِـنِينْ
ذَادَهَا دَهْرُهَا عَــنِ الــوِرْدِ فَاسْــتَوَتْ نَاظِــرَهْ
وَهْىَ بَعْدَ الــذُّبُولِ فِى الْوَرْدِ لَــمْ تَــزَلْ نَاضِرَهْ
لَبِــثَتْ وَهْىَ آخِرُ الـزَّهْرِ فِـى رِيَـاضِ الْهَـوَى
وأَرَاهَا تَقْضِــى وَفِــى الإِثْرِ سَائِــرُ الْقُــوَى
كِدْتُ أُمْسِى وَالْيَأْسُ بِـى حَـلاَّ مِــنْ تَعَافِيــــهَا
فَإِذَا لْلعِنَايَـــةِ الْجِــلَّى آيَــةٌ فِيـــــهَا
يَا فَتَاةً بِالــــلُّطْفِ حَيَّتْهَا عِشْتِ مِنْ غَادِيَـهْ[1]
قَطْـــرَةٌ مِنْ نَـدَاكِ أَحْيَتْهَــا فَزَهَــتْ نَادِيَــهْ

---

(١) النادية : السحابة .

١٦ نفحة الزهر

بِاسْمِ المَلِيكَةِ فِي الأَزَاهِرْ ذَاتِ الجَلاَلَةِ وَالبَهَاءْ
يُهْدِي إِلَيْكِ بَيَانُ شَاعِرْ أَذْكَى التَّهَانِيَ وَالدُّعَاءْ

❀

أُنْظُرِيهَا تَجِدِيهَا زَهَرَا وَاقْرَئِيهَا تَجِدِيهَا فِكَرَا
تِلْكَ أَشْبَاهُ المُنَى فِي لُطْفِهَا لَبِسَتْ حُسْناً فَجَاءَتْ صُوَرَا
مِنْ غِذَاءِ النُّورِ مِنْ سَقْيِ النَّدَى مِنْ حُنُوِّ اللَّيْلِ مِنْ ضَمِّ الثَّرَى
مِنْ هَزِيزِ الرِّيحِ فِي تَسْيَارِهَا مِنْ مُنَاغَاةِ الدَّرَارِي فِي السُّرَى
خُرَّدُ الرَّوْضِ مِلاَحٌ زَانَهَا خَفَرُ الطُّهْرِ وَزَنَّ الخَفَرَا
لَيْسَ يَدْرِي مَنْ يَرَى أَشْكَالَهَا وَيَرَى أَلْوَانَهَا وَالحِبَرَا
أَتَرَى فِي البَعْضِ مِنْهَا شَفَقاً ؟ أَمْ يَرَى فِي البَعْضِ مِنْهَا سَحَرَا؟

أَمْ يَرَى الـكِمَّ سُرُوراً نَابِتــاً   أَمْ يَرَى الـنُّوَّارَ نُوراً عِطِرَا ؟

إِنَّمَا الـزَّهْرَةُ خَلْقٌ عَجَبٌ   فِطْرَةٌ سَمْحَاءُ تَسْمـو الفِطَرَا

خُلِقَتْ لِلخَيْرِ خَلقاً صَافِـياً   جَاوَزَ الـضَّيْمَ وَفَاقَ الـغِيَرَا

شَأْنُهَا تَضْحِيَةُ الـنَّفْسِ ولاَ   شَيْءَ غَيْرُ الـنَّفْعِ تَبْغِي وَطَرَا

شِيـمَةٌ فَادِيَةٌ شَرَّفَهَا   شَارِبُ المَوْتِ فِدَاءً لِلـوَرَى

فَلِغَيْرِ الحُبِّ ذَابَتْ ذَهَبـاً   حِينَ تَأْسَى أَوْ تَذَكَّتْ مَجْمَرَا

وَلِغَيْرِ الـفَخْرِ حَلاَّهَا الـنَّدَى   وَلِغَيْرِ الـذِّكْرِ فَاحَتْ عَنْبَرَا

وَسَمَتْ أَنْ تَتَبَاهَى وَأَبَتْ   أَنْ يُطِيـلَ الـنَّاسُ عَنْهَا الـسِّيَرَا

مَنْ دَعَاهَا عَادِلاً أَوْ ظَالِمـاً   لِلـمُرُوءَاتِ دَعَا مُبْتَدِرَا

فَلِمَنْ جَاوَرَ أَهْدَتْ نَفْحَةً   وَلِمَنْ طَالَعَ أَسْدَتْ مَنْظَرَا

وَأَبَاحَتْ جِيـدَهَا مَنْ يَبْتَغِي   سَلْوَةً أَوْ زِيـنَةً أَوْ مَظْهَرَا

هِيَ أُنْسُ المَرْءِ فِي وَحْشَتِه   وَهِيَ الـصَّفْوُ لَهُ إِنْ كُدِّرَا

وَهِيَ الـقُبْلَةُ فِي مَرْشَفِ مَنْ   شَاقَهُ لَثْمُ حَـبِيـبٍ هَجَرَا

وَهِيَ الـنَّفْحَةُ يَسْتَشْفِـي بِهَا   مَنْ تَلَظَّى وَجْدُهُ مُسْتَعِرَا

وهِي الـتُّحْفَةُ فِي الـعُرْسِ لِمَنْ   آثَرَ المَهْرَ الأَحَبَّ الأَطْهَرَا

قَالَتِ الـــوَرَدَةُ ذاتُ الـــنَّهْيِ وَالأَمْـــرِ
فى الزَّهْرِ

يـا وَصـــيفَاتِى بَنَاتِ الـنُّورِ وَالـــقَطْرِ
فى الفَجْرِ

أُخْتُنَا شَمْسُ البَنَاتِ الخُـــرَّدِ الـــزُّهْرِ
فى العَصْرِ

مِنْ غَدٍ تَبْرَحُ خِدْرَ الـــكَاعِبِ الـــبِكْرِ
فِى طُهْرِ

وَتُوافِى دَارَ بَعْلٍ صَادِقٍ حُـــرٍّ
فِى فَخْرِ

أَنَا أَهْوَاهَا وَتَهْوَانِىَ فِى الجَهْرِ
وَالسِّـرِّ

أَسْعِفِيـــنـى يَا أُخَيَّاتِ الـهَوَى الـعُذْرِىِّ
فِى أَمْرِى

نَنْتَظِمْ فِى شِبْهِ تَاجٍ بَاهِرٍ يــــزْرِى

بِالــدُّرِّ

وَنَكُنْ أَبْهَى هَدَايَا الــــــوُدِّ وَالــــذِّكْرِ

فِى المَهْــرِ

لِلــــــمُفَدَّاةِ عَرُوسِ الحُسْنِ وَالــــشِّعْرِ

فِى مِصْــرِ

❁

سُرَّتِ الأَزْهَارُ لَمَّا سَمِعَتْ	ذَلِكَ النُّطْقَ الــذَّكِيَّ الأذْفَرَا[1]
وَاسْتَقَرَّتْ لَيْلَهَـــا هَاجِعَـــةً	فَرَأَتْ حُلْمـاً جَمِـيلاً فِى الكَرَى
أَبْصَرَتْ عُرْسـاً بَهِــيجاً حَافِلاً	جَامِعــاً مِنْ كُــلِّ جِيلٍ مَعْشَرَا
عَقَدَ العِطْرُ سَحَابـاً نَاصِعـــاً	فَاشِيــــــــاً بَيْنَهُمُ مُنْتَشِرا[2]
تَلْمَــعُ الأَنْــوَارُ فِــى أَثْنَائِهِ	وَتُبَاهِى الــوَجَنَاتُ الــغُرَرَا
وَلِحَاظُ الــقَوْمِ فِيــهِ تَلْتَقِى	مُرْسِلاَتٍ أَسْهُمــــــاً أَوْ شَرَرَا

(١) الأذفرا : العطرا .

(٢) ناصعاً : أبيض زاهياً .

فِتْيَةٌ مُرْدٌ وَشِيـــبٌ تَرَكَتْ   كَرَّةَ الــدَّهْرِ عَلَيْهِمْ أَثَرَا
وَحِسَانٌ مِسْنَ أَغْصَانـاً وَلَمْ   تَكَدِ الأَوْرَاقُ تُخْفِـي الـثَّمَرَا
فِي جَلاَبِيــبِ سُرُورٍ وَعَلَى   كُلِّ وَجْهٍ نَجـمُ سَعْدٍ سَفَرَا
تَنْجَلِي فِيهِمْ عَرُوسٌ مَلَكٌ   تَحْجُبُ الـعِفَّةُ عَنْهَا الـنَّظَرَا
بَيْنَ أَتْرَابٍ حَوَالَيْهَا كَمَا   صَحِبَتْ غُرُّ الـنُّجُومِ الـقَمَرَا
مَجْمَعٌ يَحْفِلُ مُهْتَزّاً لَهـا   فَرِحـاً فِي عِيـدِهَا مُسْتَبْشِرَا

❀

ظَلَّتِ الـرُّؤْيَا إِلَى أَنْ لَمَسَتْ   رَاحَةُ الفَجْرِ الـدُّجَى فَانْحَسَرَا[1]
وَجَلَـتْ عَنْ يَوْمِ صَفْوٍ شَائِقٍ   ذَلِكَ الـسِّتْرَ المَشُوبَ الأَغْبَرَا
فَتَغَنَّى الـطَّيْرُ تَبْشِـيراً بِهِ   وَكَسَى الأُفْقَ الـرِّدَاءَ الأَزْهَرَا
وَبَنَاتُ الـرَّوْضِ وَافَيْنَ إِلَى   مَحْضَرِ الـعُرْسِ فَزِنَّ المَحْضَرَا
جِئْنَ قُرْبَانـاً وَكُلٌّ وَهَبَتْ   رَبَّةَ الـدَّارِ صِبَاهَـا الأَنْضَرَا
وَدَعَتْ كُلٌّ بِسَـعْدٍ دَائِـمٍ   لِلـعَرُوسَيْنِ دُعَـاءً مُضْمَـرَا

---

(١) انحسر : انكشف .

قَالَتِ الـــــــــوَرْدَةُ يَا شَاعِرَنَا إِنَّنَا اخْتَرْنَاكَ دُونَ الـــــــشُّعَرَا

أُتْلُ عَنَّا مَا أَذَعْنَـــــاهُ شَـــــذاً وَابْتِسَامَا . . . فَتَــلاَ مُؤْتَمِـــرَا

❀

بِاسْـــمِ المَلِيـكَةِ فِى الأَزَاهِـــرْ ذَاتِ الجَـــــلاَلَةِ وَالــــــبَهَاءْ

يُهْدِى إِلَيْـــــكِ بَيَـــانُ شَاعِرْ أَذْكَى الـــــتَّهَانِى وَالــــــدُّعَاءْ

١٧ إلى الأخ العزيز

أحمد شوقى بك

أَطَلْتَ نَأْيكَ عَنِّى وَسُمْتَنِى البُعْدَ شَهْرَا

أَالشَّهْرُ بَعْضُ اللَّيَالِى وَرُبَّمَا كَانَ عُمْرَا

كَمْ فِى تَدَاوُلِ شَهْرٍ يُجَدِّدُ اللهُ أَمْرَا ؟

كَمْ أُمَّةٍ تَتَسَامَى فِى حِين تَسْقُطُ أُخْرَى

كَمْ لَيْلَةٍ تَتَقَضَّى وَلَيْسَ تُعْقِبُ فَجْرَا ؟

كَمْ حَالَةٍ يَتَوَالَى مَا سَاءَ مِنْهَا وَسَرَّا ؟

كَمْ أَزْمَةٍ تَتَوَلَّى فَتُتْبِعُ العُسْرَ يُسْرَا ؟

❁

أَلَسْتَ فِى الشَّهْرِ تَشْدُو صَوْتاً فَتُطْرِبُ دَهْرَا ؟

كَمْ فِى ثَلاَثِينَ يَوْماً أَكْسَبْتَ مِصْرَكَ فَخْرَا ؟

كَـمْ صُغْـتَ آيَةَ وَحْيٍ   يُعِيدُهَا النَّاسُ شِعْرَا ؟

وَكَمْ بَعَثْتَ حَيَاةً   فِى قَلْبِ صَخْرٍ فَدَرَّا ؟

وَكَـمْ نَسَفْتَ بِنَاءً   لِلظَّالِمِينَ فَخَرَّا ؟

وَكَمْ بَكَيْتَ فَأَبْكَيْـ   ـتَ وَادِىَ النِّيلِ نَهْرَا ؟

وَكَمْ حَثَثْتَ فَأَذْكَيْـ   ـتَ مُزْبَدَ المَاءِ جَمْرَا ؟

وَكَـمْ رَفَعْتَ لِقَوْمٍ   ذِكْراً وَقَوَّضْتَ ذِكْرَا ؟

فِـى نَادِيَاتٍ ذَوَاكٍ   لاَ تُعْقِبُ الشَّرْبَ سُكْرَا[1]

مِنَ الْقَوافِى اللَّوَاتِي   مُلِئْنَ أُنْساً وَسِحْرَا

تَرِقُّ فِيهَا فَتَصفُو   نُوراً وَتَخْلُصُ نَشْرَا[2]

فَيَا أَخَا الـوُدِّ حَسْبِى   أَسىً وَحَسْبُكَ هَجْرَا

إِنْ كُنْتَ تُخْبِرُ صَبْرِى   لَمْ يُبْقِ لِى الشَّوْقُ صَبْرَا

أَوْ تَبْتَغِى لِىَ أَجْراً   كَفَى بِمَا فَاتَ أَجْرَا

(١) الشرب : الشاربين .

(٢) نشراً : عطراً .

١٨ رثـــاء

للشيخ إبراهيم اليازجي

رَبَّ الـــبَيَانِ وَسَيِّدَ الـــقَلَمِ وَفَّيْتَ قِسطَكَ لِلـــعُلَى فَنَمِ

نَمْ عَنْ مَتَاعِبِهَا الجِسَامِ وَذَرْ آلامَهَـا غُنْمــــاً لمغْتَنِـمِ[1]

مَا أَصْغَرَ الـــدُّنْيَا وأَحْقَرَهَا فِي جَنْبِ مَا لِلـمَيْتِ مِنْ عِظَمِ

يُغْضِـــي وقَدْ آذَتْـــهُ دَائِبَةٌ عَنْ ذَنْبِهَا إِغْضَاءَةَ الـــكَرَمِ

مَا أَعْجَزَ الـلَّسِنَ الفَصِيـحَ لَدَى عِيِّ الـفَقِيــدِ الخَالِدِ الـبَكِمِ

مَا أَسْخَفَ الـــعَبَرَاتِ سَاكِبَةً وَالـــنَّعْشُ يَحْجُبُ وَجْهَ مُبْتَسِمِ

❁

يَا مَـــنْ بَكَـتْ لِفِرَاقِـهِ أُمَـمٌ كَانَتْ بِـهِ مَـحْسـودَةَ الأُمَـمِ

---

(١) ذر : دع .

أَالْآنَ جُزْتَ الوَهْمَ مُرْتَقِياً   وَإلى الصَّوَابِ خَلَصْتَ مِنْ حُلُمِ
أَكْمِلْ بَلاَغَكَ يَا حَكِيمُ وَقُلْ   أَحَيَاتُنَا خَيْرٌ مِنَ العَدَمِ ؟
أَمْ تِلْكَ أُمٌّ غَيْرُ عَاقِلَةٍ   أُمٌّ بِلاَ قَلْبٍ وَلاَ رَحِمِ
أُمٌّ تُغَذِّى مِنْ وَلاَئِدِهَا   رِمَماً تُمَشِّيهَا عَلَى رِمَمِ

❁

مَاالخَلْقُ؟ هَلْ أَدْرَكْتَ غَامِضَهُ ؟   وَأَزَحْتَ عَنْهُ غَيَاهِبَ الظُّلَمِ ؟
أَجْهَدْتَ فِكْرَكَ فِى تَعَقُّلِهِ   وَصَدَرْتَ عَنْهُ وَارِداً كَظَمِى
سَاءَلْتَ عَنْهُ النَّجْمَ مُرْتَقِباً   وَبَحَثْتَ بَيْنَ الحَرْفِ وَالرَّقَمِ
وَهَوَى بِكَ الوَادِى مَهَاوِيَهُ   وَرَنَوْتَ مُنْطَاداً مِنَ القِمَمِ
تَبْغِى الحَقِيقَةَ سَاعِياً كَلِفاً   مِنْ كُلِّ مُطَّلَبٍ بِلاَ سَأَمِ
لَكِنْ رَأَيْتَ البِرَّ أَجْمَلَ مَا   تُحْدَى إِلَيْهِ سَوَابِقُ الهِمَمِ
وَالبِرُّ أَشْرَفُهُ وَأَنْفَعُهُ   لِلنَّاسِ فِى الإِرْشَادِ وَالحِكَمِ
فَأَزَلْتَ كُرْبَةَ كُلِّ ذِى شَجَنٍ   بِالرَّائِقِ الشَّافِى مِنَ الكَلِمِ
وَأَسَوْتَ مَكْلُومَ النُّفُوسِ إسَا   مَنْ يَقْرِنُ التَّضْمِيدَ بِالنَّغَمِ(1)

---

(1) هو مذهب جديد تخفف به آلام من يعمل له عمل جراحى .

بِرَوَائِعٍ كَالْكَوْنِ بَاهِرَةٍ ... مَا بَيْنَ مُنْتَثِرٍ وَمُنْتَظِمِ

جَمَّلْتَهَا بِجَمَالِهِ فَمَضَتْ ... وَلَهَا جَلَالُ الكَوْنِ مِنْ قِدَمِ

❁

١٩ شعر منثور

كلمات أسف

أنشدت فى حفلة تأبين للمرحوم الشيخ إبراهيم اليازجى

أَطْلِقَ عَبَرَاتِكَ مِنْ حُكْمِ الوَزْنِ وَقَيْدِ القَافِيَهْ
وَصَعِّدْ زَفَرَاتِكَ غَيْرَ مُقَطَّعةٍ عَرُوضاً وَلا مَحْبُوسَةً فِي نَظَامْ
قُلْ وَقَدْ نَظَرْتَ إلى المَوْتِ وَهُوَ قَاتِلٌ عَامِدْ
مَا تُوحِيهِ إِلَيْكَ النَّفْسُ لَدَى رُؤْيَةِ إِثْمِهِ الرَّائِعْ
لاَ عَتْبَ عَلَى الحِمَامْ . هُوَ الظُّلْمَةُ وَالحَيَاةُ النُّورْ
هُوَ الأَصْلُ الأَزَلِىُّ الأَبَدِىّ . وَالنُّورُ حَادِثٌ زَائِلْ
فَإِذَا أَزْهَرَ شَارِقٌ فِى دُجُنَّةٍ فَهُوَ يُكافِحُها ويُنافِيهَا
إلى أَنْ يَنْقَضى سَبَبُهُ فَيَتَضَاءَل ثُمَّ يَتَلاَشَى فِيهَا

أَلمائتُ وَرَاءَ المَيتْ . أَتَبْكِى مَيْتاً وَأَنْتَ مَائِتْ ؟

هَلِ القَطَرَاتُ الهابِطَةُ فِى العُمْقِ دَمْعَةٌ تَجْرِى إِثْرَ دَمْعَهْ ؟

لَئِنْ مَاتَ اليَازِجِيُّ ، فَقَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهِ النَّبِيُّونْ

وَمَاتَتْ أُمَمٌ أَهَانَ الرَّدَى أَعِزَّاءَهَا وَصَغَّرَ كُبَرَاءَهَا

فَلِمَ تَبْكُونَ رَاحِلاً أَيُّها الرَّاحِلُونَ ؟ أَأَنْتُمْ بعده فى خُلُودْ ؟

أَمْ هِيَ دُمُوعٌ يُقْرِضُهَا السَّلَفْ ، لِيفَيَهُمْ إِيَّاهَا الخَلَفْ ؟

لاَ . . . وَإِنَّمَا نَبْكِى مِنَّا بَعْضَنَا الَّذِى ذَهَبَ مَعَ الذَّاهِبْ

نَبْكِى مَغَانِمَنَا مِنْ أُنْسِهِ وَعِلْمِهِ وَأَخْلاَقِهْ

نَبْكِى مَفْقُودَنَا مِنْ مَعَاهِدِهِ فِى المَكَانِ وَالزَّمَانْ

نَبْكِى مَا أَلِفْنَاهُ مِنْ مَشْهُودِهِ وَمَسْمُوعِهْ

❁

فَيَا مَنْ يُكْبِرُ جَزَعَنَا عَلَى إِبْرَاهِيمْ ! إِنَّ المَيْتَ يُبْكَى بِمِقْدَارِهْ

وَإِنَّ النَّفْسَ بِمَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الكَلَفِ بِمَصَالِحِهَا

لاَ تَأْسَفُ عَلَى الشَّمْسِ المُتَوارِيَةِ بِالحِجَابْ

أَسَفَهَا عَلَى أَيِّ نَجْمٍ يَتَوَارَى ، وَلَوْ كَانَ فِى فُلْكِهِ شَمْسَا

❁

أَكَانَ اليَازِجِيُّ مِنْ أَرْوَاحِنَا بِمَنْزِلَةِ الشَّمْسِ مِنَ العُيُونْ ؟
فَيَكُونُ حِدَادُنَا عَلَيْهِ حِدَادَ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارْ ؟
نَعَمْ ! كَانَ بِعِلْمِهِ كَالشَّمْسِ إِنَارَة وَإِشْرَاقًا
سِوَى أَنَّهُ كَانَ كَالزَّهْرَةِ بِوَدَاعَتِهِ ، وَعَرْفِهِ ، وَنَفْعِ مَا يَعْصِرُ قَلَمُهْ
وَلَمْ تَكُنْ أَشِعَّتُهُ جَارِحَةً لِلعُيُونِ بِقِحَتِهَا ، وَإِنَّمَا كَانَتْ بَلسَماً لِلعُيُونْ
وَلَمْ تَكُنْ ثِمَارُهُ وَأَشْجَارُهُ تَنْسِيقَ تِجَارَةٍ وَلاَ زِينَةَ مُفَاخَرَهْ
وَلَمْ يَكُنْ عَرْفُهُ دَعْوَةً لِلإِعْجَابِ بِهِ ، بَلْ نَسْمَةَ رُوحٍ مُتَذَكِّيه

❁

شَبَحٌ نَحِيلٌ ضَمَّ قَلْباً رَقِيقاً وَعَقْلاً كَبِيرَا
فَقَدْنَاهُ ، فَفَقَدْنَا لُغَةً فِي يَرَاعْ
فَقَدْنَا زَهْرَةً ذَابِلَةً تُنْذِرُ بِذُبُولِ الحَدِيقَهْ
فَقَدْنَا حَدِيقَةً مُتَجَرِّدَةً تُنْبِئُ بِزَوَالِ الرَّبِيعْ
فَقَدْنَا رَبِيعاً انْقَضَى بِهِ عَصْرٌ فِي عُمْرِ رَجُلْ
فَقَدْنَا شَمْساً أَطْلَعَتْ ذَلِكَ الرَّبِيعَ وَزَانَتْهُ بِأَنْوَارِهَا وَأَنْدَائِهَا
ثُمَّ غَرَبَتْ عَنْهُ بَلا تَدَرُّجٍ فِي الانْتِقَالِ وَمَالَتْ إِلى الشِّتَاء

٢٠ تهنئة بمولود

فِيكَ انْجَلَى يَا لَيْلُ طِفْلٌ صَغِيرْ
فَوْقَ السَّرِيرْ
طِفْلٌ كَجَدَّيْهِ سَرِيٌّ أَمِيرْ
لَمَّا بَدَا نَادَى بَشِيرُ الصَّفَاءْ
بُشْرَى العَلاَءْ
بُشْرَى الْهُدَى بُشْرَى النَّدَى وَالوَفَاءْ

❁

مُحَمَّدٌ لاَ بِدْعَ أَنْ يُؤْمَلاَ
إِذْ أَقْبَلاَ
لِلْخَيْرِ وَالإِحْسَانِ بَيْنَ المَلاَ
هَذَا كَرِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ أَتَى
نِعْمَ الْفَتَى
قَدْ طَابَ غَرْساً وَزَكَا مَنْبِتَا

❁

إِنِّى أَرَاهُ وكَـــــــــــأَنَّ المُنَــى
أَسْعَفْنَنَا
فِيـــــــــهِ فَحَقَّقْنَ بِهِ فَأْلَنَا

❁

أَرَاهُ مـــــــــــقْداماً لجُنْدِ الْوَطَنْ
ضَنَّ الزَّمَنْ
بِمِثْلِهِ بَيْنَ رِجَالِ الـــــــــــفِطَنْ

❁

أَرَاهُ يُوحِـــــى وَحْيَهُ شَــــاعِرَا
أَوْ نَاثِرَا
كَالـــــــــنَّجْمِ مِنْ عَلْيَائِهِ سَافِرَا

❁

أَرَاهُ فِى الـفَضْلِ رَفـــيعَ العَلَمْ
ثَبْتَ القَدَمْ
يَحْكِى أَبَاهُ بِمَضَاءِ الـــــــهِمَمْ

❁

فَلْيَحْفَظِ اللهُ الـــعَلِىُّ الـــقَدِيـــرْ
هَذَا الصَّغِيرْ
فَهْوَ رَجَاءٌ لِلمَعَالِى كَبِـــــيـــرْ

٢١ حـــق الوطن

وحق الاخاء

هى المرثية التى أنشدها الناظم على ضريـــــح
المغفور له مصطفى كامل باشا فى حفلة الأربعين

أَعْلَى مَكَانَتَكَ الإِلـــــهُ وَشَرَّفَا فَانْعَمْ بِطِيـبِ جِوَارِهِ يَا مُصْطَفَى
أَلْـــيَوْمَ فُزْتَ بِأَجْرِ مَا أَسْلَفْتَهُ خَيْراً ، وَكُلٌّ وَاجِدٌ مَا أَسْلَفَا
وَجُزِيتَ مِنْ فَانِى الوُجُودِ بِخَالِدٍ وَمِنَ الأَسَى المَاضِى بِمُقْتَبَلِ الـــصَّفَا

❁

أَعْظِمْ بِيَوْمٍ فِى الـزَّمَانِ وَمَنْ لَهُ بِكَ وَاصِفــاً ذَاكَ الجَلاَلَ فَيُوصَفَا؟!
يَوْمَ المَلاَئِكَةِ الـــكِرَامِ تَنَزَّلُوا حَانِينَ حَوْلَكَ فِى السَّرِيرِ وَعُكَّفَا
وَتَحَمَّلُوكَ عَلَى الأَشِعَّةِ وَارْتَقَوْا سِرْباً يَجُوزُ بِكَ الدَّرَارِئَ مُوجِفَا
فَوَرَدْتَ وِرْدَكَ فِى الخُلُودِ مُنَعَّماً وَالأَرْضُ مَائِدَةٌ عَلَيْكَ تَأَسُّفَا

لَمْ تُلفَ قَبْلَكَ أُمَّةٌ فِى مَشْهَدٍ يُذْرِى الرِّجَالُ بِهِ المَدَامِعَ ذُرَّفَا

مُتَثَاقِلِينَ مِنَ الوَقَارِ وإِنَّمَا سَارُوا بِطَيْفٍ نَاحِلٍ أَوْ أَنْحَفَا

بَحْرٌ مِنَ الأَحْيَاءِ نَعْشُكَ فَوْقَهُ فُلْكٌ يُظَلِّلُهُ اللِّوَاءُ مُرَفْرِفَا

يَبْكُونَ فِى آثَارِهِ العَلَمَ الَّذِى آثَارُهُ مِنْ رِفْعَةٍ لاَ تُقْتَفَى

سَعَتِ الخَوَادِرُ حَاسِرَاتٍ وَالأَسَى مُلْقٍ عَلَى الأَبْصَارِ سِتْراً أَغْدَفَا

ولَئِنْ سَفَرْنَ وَلَمْ يَخَلْنَ فَإِنَّهُ خَطْبٌ أَلاَنَ بِرَوْعِهِ صُمَّ الصَّفَا

فَزِعَ الشَّبَابُ إلى الشُّيُوخِ بِثَأْرِهِمْ مِنْ دَمْعِهِمْ إِنْ خَانَهُمْ فَتَكَفْكَفَا

وَمِنَ الغَضَاضَةِ إِنْ دَعَا دَاعِى العُلَى بَعْدَ الفَقِيدِ فَتًى بِهِمْ فَتَوَقَّفَا

جَزِعَ النَّصَارَى وَاليَهُودُ لِمُسْلِمٍ هُوَ خَيْرُ مَنْ وَالَى وَأَوْفَى مَنْ وَفَى

بَكَوُا المُرَجَّى فِى خِلاَفٍ عَارِضٍ لِيُزِيلَ ذَاكَ العَارِضَ المُتَكَشِّفَا

وَاشْتَدَّ رُزْءُ المُسْلِمِينَ وَحُزْنُهُمْ لَمَّا مَضَيْتَ وَلَسْتَ فِيهِمْ مُخْلَفَا

مَنْ بَعْدَ كَاتِبِهِمْ وَبَعْدَ خَطِيبِهِمْ يُعْلِى لَهُمْ صَوْتاً وَيَنْشُرُ مُصْحَفَا

❁

٢٢ مقاطعة

نظمت لما بدئ اضطهاد الأحرار وسلط قانون المطبوعات على الأفكار

شَرِّدُوا أَخْيَارَهَا بَحْراً وَبَرًّا وَاقْتُلُــــوا أَحْرَارَهَا حُرًّا فَحُرًّا

إِنَّمَا الصَّالِحُ يَبْقَى صَالِحــــاً آخِرَ الدَّهْرِ وَيَبْقَى الشَّرُّ شَرًّا

كَسِّرُوا الأَقْلاَمَ هَلْ تَكْسِيــرُهَا يَمْنَعُ الأَيْدِى أَنْ تَنْقُشَ صَخْرَاً ؟

قَطِّعُوا الأَيْدِىَ هَلْ تَقْطِيــعُهَا يَمْنَعُ الأَعْيُنَ أَنْ تَنْظُرَ شَزْرَاً ؟

أَطْفِئُوا الأَعْيُنَ هَلْ إِطْفَاؤُهَا يَمْنَعُ الأَنْفَاسَ أَنْ تَصْعَدَ زَفْرَاً

أَخْمِدُوا الأَنْفَاسَ، هَذَا جُهْدُكُمْ وبِهِ مَنْجَاتُنَا مِنكُمْ... فَشُكْرَاً !

٢٣ تهديد بالنفى

أهديت هذه الأبيات إلى رئيس وزارة توعد الشاعر بالنفى من مصر بعد انتشار ما نظمه تحت عنوان «مقاطعة»

أَنَا لاَ أَخَــــافُ وَلاَ أُرَجِّـــى   فَرَسِـــى مُؤَهَّبَـــةٌ وَسَـــرْجِى

فَإِذَا نَبَا بَــــى مَتْنُ بَــــرٍ   فَالْمَطِيَّـــةُ بَطْـــنُ لُـــجَّ

لاَ قَوْلَ غَيْرَ الْحَـــقِّ لِـــى   قَولٌ وَهـــذَا الـــنَّهْجُ نَهْجِى

أَلْوَعْدُ والإِيـــعَادُ مَا كَانَـــا   لَـــدَىَّ طَرِيـــقَ فُلْـــجٍ[1]

---

(١) الفلج : الظفر .

٢٤ وردة ماتت

إحدى قصائد الذكرى السنوية التى كان يهديها الشاعر إلى روح فقيدة عزيزة

أَبْكَتِ الرَّوْضَ عَلَيْهَا جَزَعَــا وَرْدَةٌ فِي عُنْفُوَانِ الْعُمْرِ حَانَتْ[1]

لـبِسَتْ زِينَتَهــا عَارِيَةً لِشَبَابٍ ثُمَّ رَدَّتْ مَا اسْتَدَانَتْ

لَقِيَتْهَا الأَرْضُ تَكْرِيمــاً لَهَا بَيْنَ جَفْنَيْنِ فَعَزَّتْ حَيْثُ هَانَتْ

وَابْتَنَتْ مِنْ صَدْرِهَا قَبْراً لَهــا جَثَتِ الْحُسْنَى عَلَيْهِ وَاسْتَكَانَتْ

ذَبُلَ الــرَّيْحَانُ حُزْنــاً وَبَدَتْ سِنَةٌ فِي أَعْيُنِ الــنَّرْجِسِ رَانَتْ

✽

فــى جِنَانِ الْخُلْدِ عُقْبَى حُرَّةٍ لَمْ تَمِنْ يَوْماً إِذَا الأَزْهَارُ مَانَتْ[2]

خَابَتِ الــدُّنْيَا بِهَا لَمْ تَرْعَهَا وَقَدِيمــاً خَابَتِ الــدُّنْيَا وَخَانَتْ

(١) حانت : هلكت .

(٢) لم تمن : لم تكذب .

يَا فَرَاشَات هُنَا حَائــــــــرةً كُلَّمَا مَرَّتْ عَلَى الــــقَبْرِ تَحَانَتْ

حَبَّذَا أَلْوَانُك الْبِيـــــضُ الَّتِى مثلــما نَوَّعَهَا الْحُزْنُ اسْتَبَانَتْ[1]

كَمْ بِهَا مِنْ مَلْمَحٍ يَنْدَى أَســـى مَسْحَةُ الــــدَّمْعِ تَغَشَّتْهُ فَزَانَتْ

حَبَّذَا أَجْنِحَــــــــــةٌ وَهْمِيَّةٌ حَمَلَتْ وِقْراً وَبِالله اسْتَعَانَتْ

كَبُرَيــــــــقَات تَنَاهَتْ سُرْعَةً فَاسْتَقَرَّ الــــضَّوْءُ مِنْهَا وَتَفَانَتْ

مَالَهَا ظِلٌّ إِذَا مَا أَوْضَعَتْ وَلَهَا ظِلٌّ خَفِــيفٌ إِنْ تَوَانَتْ[2]

يَلْمَحُ الــــظَّنُّ إِذَا مَا رَفْرَفَتْ سِرْبَ أَرْوَاحٍ صَغِــيرَاتٍ تَدَانَتْ

وَلَهَا أَنَّاتُ نَوْحٍ حَيْثُمـــــــا بَلَغَتْ سَامِعَةَ الْقَلْبِ أَلاَنَتْ

❁

مَا الــذِى تَبْغِـــينَ مِنْ جَوْبِك يَا شُبُهَاتِ الــطَّيْرِ؟ قَالَتْ وَأَبَانَتْ :

«نَحْنُ -آمَالَ الصِّبَى- كَانَتْ لَنَا هــهُنَا مَحْبُوبَــةٌ عَاشَت وَعَانَتْ

كَانَتْ الْـــــوَرْدَةَ فِى جَنَّتِنَـــــا مَلَكَتْ بِالْحَـــقِّ، والجَنَّةُ دَانَتْ

مَا لَبِثْنَـــا أَنْ رَأَيْنَاهَـــا وَقَدْ هَبَطَتْ عَنْ ذَلِكَ الْعَرْشِ وَبَانَتْ

فَتَرَانَا نَتَحَـــرَّى أَبَــــداً إِثْرَهَا أَوْ نَتَلاَقَــى حَيْثُ كَانَتْ »

---

(١) جمع البيض هنا يراد به تعدد نوع البياض فيها .

(٢) أوضعت : أسرعت .

٢٥ العزلة فى الصحراء

خير من العيشة فى المدينة

وَلُّوا الْمَدِينَةَ وَجْهَكُمْ وَدَعُونِى أَنَا فِي هَوَاى وَعُزْلَتِى وَجُنُونِى

عُودُوا إِلى الْبَلَدِ الأَمِينِ وَغَادِرُوا بَلَداً لِبُعْدِ النَّاسِ غَيْرَ أَمِينِ

عُودُوا إِلى حَيْثُ النَّمائِم والأَذَى وَالْعَيْشُ بَيْنَ وَسَاوِسٍ وَظُنُونِ

حَيْثُ الرَّذَائِلُ فِى مَرَافِلِ عِزَّةٍ حَيْثُ الْفَضَائِلُ فِى غَلاَئِلِ هُونِ

حَيْثُ الضِّيَافَةُ للنَّزِيلِ الْمرتَجَى مَا شَاءَ حَتَّى الْعِرْض حَتَّى الدينِ

حَيْثُ التِّجَارَةُ بِالْودَادِ وَ بِالْقِلَى وَبِكُلِّ رأْيٍ فِى الْحَيَاةِ أَفِينِ[١]

حَيْثُ المَصُونُ هُوَ الحُطَام الْمُقْتَنَى وَعَفَافُ ذَاتِ الخِدْرِ غَيْرُ مَصُونِ[٢]

---

(١) القلى : البغض . افين : ضعيف .

(٢) الحطام : ما تكسر من الشئ . يريد : التافه .

حَيْثُ المُسِيءُ إِلَى أَخِيــــهِ بِمَنِّهِ طَاوِي الضُّلُوعِ عَلَى نَدًى مَمْنُونِ[1]

حَيْثُ الفَتَى كَالشَّيْخِ يَحْنِي رأْسَهُ وَيَرَى الْحَقِيــقَةَ رُؤْيَةَ التَّخْمِينِ

بَادِي الــهُمُومِ وَلا هُمُومَ وإِنَّمَا هُنَّ البَقَايَا مِنْ طِلا وَمُجُونِ[2]

تِلْكَ الْحَضَارَةُ لاَ أُحِبُّ خِلالَهَا وَأَرَى مَحَاسِنَهَا شِبَاكَ فُتُونِ

مَاذَا دَهَانِي فِي اخْتِبَارِي أَهْلَهَا مِنْ كِذْبِ آمَالِي وَصِدْقِ عُيُونِي؟

---

(٣) المن : تكرار ذكر النعمة ، وممنون : مجحود ، أو محسوب لا يفتأ بذكره .

(٤) الطلا : الخمر .

٢٦ مـن غريـب

إلى عصفورة مغتربة

نظمت فى جنيف بقرب تمثال جان جاك روسو . وقد رأى الشاعر على شجرة طائراً يشبه أن يكون مصرياً .

هى خطرة فكر للناظم ألف أن يرسل مثلها فى موعد من كل عام تحية إلى فقيد عزيز فى عالم الغيب . وقد جعل مدارها فى هذه القصيدة على عصفورة اشتبهت عليه بين أن تكون مجلوبة من مصر للاتجار أو قاطعة من قواطع الأطيار .

يَا مَنْ شَكَتْ أَلَمِى مَعِى ... طَيَّبْتِهِ فِى مَسْمَعِى
شَكْوَاكِ أَلْطَفُ بَلْسَمٍ ... لِجِرَاحَةِ الْمُتَوَجِّعِ
مَا أَعْلَقَ الشَّدْوَ الرَّخِـ ... ـيمَ بِكُلِّ قَلْبٍ مُولَعِ
غَنِّى أَهَازِيجَ النَّوَى ... وَعَلَى نُوَاحِى أَوْقِعِى[1]

(١) الأهازيج : جمع أهزوجة ، وهى ما يترنم به من الأغانى .

بِنْــتَ «الْكِنَــانَـــةِ» مَا رَمَــى بِكِ بَيْنَ هَــذِى الأَرْبُــعِ ؟

فِيــمَ اغْتَرَبْتِ وَكُنْـــتِ فِى ذَاكَ الأَمَانِ الأَمْنَعِ ؟

أَحُمِلْتِ مَحْمَــــلَ سِلْعَةٍ جَلَبًــا بِغَيْرِ تَطَــوُّعٍ ؟[1]

فَفَـرَرْتِ مِنْ قَـفَـصِ الْكَفِــيلِ إِلَـى الْفَضَـاءِ الأَوْسَـعِ

وَيَوُدُّكِ الْعَـوْدُ الْقَـرِيــبُ لِسِـرْبِكِ الْمُـتَمَتِّعِ

فِى «مِصْرَ» مَصْرَخَـةِ الـلَّهِيــفِ وَمَلْجَإِ الْمُتَفَــزِّعِ

«مِصْرِ» السَّمَاءِ الـصَّحْوِ، «مِصْــرِ» الـدِّفْءِ، «مِصْرِ» المَشْبَعِ

«مِصْرَ» الَّتــِى مَا رِيــعَ سَاكِنُهَا بِرِيـــحٍ زَعْزَعِ[2]

حَيْــثُ الْمَرَاعِــى وَالــنَّدَى لِلْمُرْتَــوِى وَالْمُرْتَعِــى

حَيْثُ الـسَّوَاقِــى الْحَانِيَا تُ عَلَى الــطُّيُورِ الــرُّضَّعِ

حَيْــثُ الْحَــرَارَةُ مَا تُــوَا لِ رَبِيـبَهَا يَتَرَعْـرَعِ ؟

أَمْ أَنْــتِ مِنْ تِلْكَ الجَــوَا لِى فِـى الْفُصُولِ الأَرْبَـعِ[3]

---

(١) الجلب : ما تجلبه من سلعة بلد إلى بلد آخر .

(٢) زعزع : شديدة تزعزع الأشياء .

(٣) الجوالى : جمع جالية ، وهى الطائفة المهاجرة من وطن إلى وطن .

لاَ تَعــــــرِفِينَ مِــنَ الزَّمَــا ... نِ سِــــــوَى المَكَانِ المُمْرِعِ

تَبِــــينَ مِنْ مُتَرَبَّـــــعِ ... أَبَـــداً إِلَـــى مُتَرَبَّـــعِ

بِهِدَايَـــةٍ صَحَّـــتْ عَلَـــى ... طَلَـــبِ الأَحَـــبِّ الأَنْفَـــعِ

وَثُقُـــوبِ فِكْـــرٍ فِى الـتَّوَجُّـ ... ـــهِ وَاخْتِيَـــارِ المَنْجَـــعِ[1]

وَغَنَـــاءِ رأْيٍ عَـــنْ دلاَ ... لَةِ إِبـــرَةٍ أَوْ مَهْيَـــعِ[2]

وَقَنَاعَـــةٍ مِـــنْ قِسْـــمَةٍ ... لَكِ عِنْـــدَ خَيْرِ مُـــوَزِّعِ

فِى الـــسِّرْبِ أَنَّى سَـــارَ لاَ ... تَخْشَـــيْنَ سُـــوءَ المَوْقِعِ

❁

الـــسِّرْبُ مَا فِـــى الـــسِّرْبِ مِنْ ... عَجَبٍ لِذِى قَلْبٍ يَعِـــــى

تَنْضَـــمُّ حِـــينَ جَـــلاَئِهِ ... أَشْـــتَاتُهُ فِـــى مَجْمَـــعِ

مِنْ غَيْرِ مِيـــــــعَادٍ تَقَدَّ ... مَ لِلـــرَّحِيـــلِ المُزْمَـــعِ

فَـــإِذَا عَـــلاَ أَزْرَى عَلَـــى ... سِرْبِ الـــسَّفِينِ المُقْلِعِ[3]

---

(١) ثقوب الفكر : نفاذه . المنجع : الموضع المقصود لطلب العيش .

(٢) المهيع : الطريق الواسع .

(٣) أزرى عليه : عابه وتنقصه ، والمراد : فاقه .

آلآفُ آلآفٍ بِغَـــــــــيـــــرِ تَلَكُّؤٍ وتَضَعْضُــعِ

وَبِلاَ هَزِيـــزِ تَقَلْقُـــلِ وبِلاَ أَزِيـــزِ تَخَلُّـــعِ

وَبِلاَ اصْطِـــدَامٍ فِى الـــزِّحَا مِ مُحَطِّـــمٍ وَمُصَـــدِّعِ

إِنْ تَلْتَئِـــمْ فَمُرُورُهَـــا كَالْعَـــارِضِ الْمُتَقَشِّـــعِ[1]

أَوْ تَفْتَـــرِقْ فَهِـــىَ الْجُيُــو شُ بِقَـــادَةٍ وَبِـــتُبَّـــعِ[2]

كُــلٌّ يَســـيـــرُ وَلاَيُخَـــا لِفُ فِـــى الـطَّرِيــقِ الْمُشْرَعِ[3]

كُـــلٌّ يُجَـــارِى رَأْيَـــهُ وَالـــرَّأْىُ غَيْـــرُ مُـــوَزَّعِ

كُـــلٌّ كَرُبَّـــانٍ يُدِيـــرُ زِمَـــامَ فُلْكٍ طَيِّـــعِ

❀

بِالْيُمْنِ يَاغِرِّيـــدَةَ الْـــوَادِى إِلى الْـــوَادِى ارْجِـــعِى

إِنِّى لأَسْـــمَعُ فِـــى غِنَـــائِـــكِ رَقْرَقَـــاتِ الأَدْمُـــعِ

وَيَرُوعُنِـــى شَـــجَنٌ بِـــهِ كَشَجِـــىٍّ بِحَلْـــقِ مُـــوَدِّعِ[4]

---

(١) العارض : السحاب . المتقشع : المتزايل .

(٢) تبع : جمع تابع .

(٣) المشرع : المبيّن .

(٤) الشجى : ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

تِلْكَ الْبَرَاعَةُ مَا اسْتَتَمَّـ ـتْ فِـى جَمَـالٍ أَبْـرَعِ

❁

جِسْـمٌ كَحُـقٍّ لِلْحَيَـاةِ مُعَـرَّقٍ وَمُضَلَّـعِ[1]

يَغْشَـاهُ ثَـوْبٌ دَبَّجَـتْ أَلْوَانَـهُ يَـدُ مُبْـدِعِ

أَلْمَتْـنُ يَزْدَهِـرُ ازْدِهَـارَ الأَخْضَـرِ الْمُتَجَمِّـعِ

وَالـصَّدْرُ فِيـمَا دُونَـهُ يُزْهَـى بِأَحْمَـرَ مُشْبَـعِ

وَالْجِـيدُ زِيـنَ مِنَ الـنُّضَارِ بِحِلْيَـةٍ لَـمْ تُصْنَـعِ

دَعْ كُـلَّ نَقْـشٍ فِى الْخِـلَالِ مُوَشَّـمٍ وَمُبَقَّـعِ

وَدَعِ الْقَـوادِمَ تَسْـتَقِلُّ بِرِيـشِهَا الْمُتَنَـوِّعِ[2]

آيَـاتُ خَلْـقٍ مَـنْ يُجِـلْ نَظَـراً بِهَـا يَتَخَشَّـعِ

أَعْظِـمْ بِهَا فِـى ذَلِكَ الْجِـسْمِ الـصَّغِيـرِ الأَضْرَعِ[3]

لَوْلاَ الْحَـرَاكُ لَخِيـلَ مِـنْ ثَمَـرٍ هُنَـالِكَ مُونِـعِ

---

(١) معرق ومضلع : ذو عروق وأضلاع .

(٢) القوادم : الريش فى مقدم الجناح .

(٣) الأضرع : الضعيف .

حُلْوُ الشَّمائِلِ إنْ يُجَا ... رِ الطَّبْعَ أَوْ يَتَطَبَّعِ

يَرْنُو بِفَائِضَتَىْ سَنَىً ... كَالْجَوْهَرِ الْمُتَطَلِّعِ

يَسْهُو بِغَاشِيَتَيْنِ تَنْسَدلاَنِ سَدْلَ الْبُرْقُعِ

مُتَطَاوِلُ الْخَدَّيْنِ . فِى ... وَجْهِ حَدِيدِ الْمُقَطَعِ

مِنْقَارُهُ كَقُلاَمَتَيْنِ مِنَ الظَّلاَمِ الأَسْفَعِ[1]

❁

أُخْتَ الشَّوَادِى الخُضْرِ حَانَتْ لَفْتَةُ الْمُتَنَوِّعِ[2]

بِكِ نَزْعَتِى نَحْوَ الْحِمَى ... وَعَدَاكِ قَيْدِى فَانْزِعِى[3]

أَلْقِى الْوَدَاعَ تَأَهُّباً ... وَاسْتَوْفِزِى وَاسْتَجْمِعِى

لله وَثْبَتُكِ الْبَدِيعَةُ إذْ وَثَبْتِ لِتَطْلُعِى

حَيْثُ الضُّحَى مُتَسَاكِبٌ ... كَطِلاً بِكَفٍّ مُشَعْشِعِ[4]

---

(١) كقلامتين : كقطعتين ، ومنه قلامة الظفر . والأسفع : الأسود .

(٢) الشوادى : جمع شادية ، وهى المغردة . والمتنوع : المتقدم فى السير ، والمراد : المسافر .

(٣) عداك : فاتك

(٤) الطلا : الخمر .

وَالرِّيحُ تَحْضُنُ آخِرَ النَّغَـ ـمَاتِ حَضْنَ الْمُرْضِعِ
وَالدَّوْحُ مَيَّادُ الرُّؤو سِ مُشَيَّعٌ بِالأَذْرُعِ
وَتَعَطُّفُ الأَفْنَانِ شِبْـ ـهُ تَقَصُّفٍ فِي أَضْلُعِ

❁

خُضْتِ الضِّيَاءَ عَلَى غَوَا رِبِ مَوْجِهِ الْمُتَدَفِّعِ[1]
تَتَصَاعَدِينَ وَمَا الشِّهَا بُ الْمُسْتَطَارُ بِأَسْرَعِ
يَرْمِي جَنَاحَاكِ الْمَهَا وِيَ بِالشِّعَاعِ السُّطَّعِ[2]
وَتُرَاعُ رَائِعَةُ النَّهَا رِ لِوَهْجِكِ الْمُتَفَرِّعِ
وَلَشِكَّةُ الأَلْوَانِ حَوْلَكِ كَالنِّصَالِ الشُّرَّعِ[3]
مَزَّقْتِ أَسْتَارَ السَّنَى عَنْ عَالَمٍ مُتَقَنِّعِ[4]
جَمٍّ الْخَلَايَا فِي حَوَا شِي النُّورِ خَافِي الْمَوْضِعِ

---

(١) غوارب الموج : اعاليه .
(٢) الشعاع (بكسر الشين) : جمع شعاع (بضم الشين) .
(٣) الشكة : النوع من شك السلاح . الشرّع : المسددة .
(٤) عالم متقنع : عالم الهباء .

أَنْزَلْتِ هَـــوْلاً فِــى قُرَاهُ   وَفِى الـــذَّرَائـــرِ أَجْمَعِ[1]

أَنَظَـــرْتِ عَـــنْ كَثَبٍ إِلَى   مـــــــلأٍ هُنَـاكَ مُرَوَّعِ

هِىَ وَقْعَةٌ فِــى الْجَــوِ بَيْـــ   ـــنَ هَبَائِـــهِ الْمُتَلَمَّـــعِ

هَبَّـــتْ خَلاَئِقُــــهُ عَلَـــى   ذَاكَ الْمُغِيــــرِ الْمُفْـزِعِ

فِى أُسْـــدِ غَـــابٍ تَسْتَطِيـ   ـــرُ وَفِــى ذُبَــابٍ وُقَّـــعِ

يَجْدُدْنَ حَرْبـــاً كَالْكُمَـــا   ةِ وَكَالـــرُّمَاةِ الـــرُّكَّعِ[2]

يُـــرِرْنَ أَوْ يَفْـــرِرْنَ   بَيْنَ تَفَــــرُّدٍ وَتَجَمُّــــعِ

يَرْمِينَ بِـــالـــرُّجُمِ الـــدِّقَا   قِ وَبِـــالـــنُّجُـــومِ الـــطُّلَّعِ[3]

❁

تِيـــــهِى بِغَارَتِـــكِ السَّنِيَّةِ   فِـــى الْمَجَـــالِ الأَرْفَــعِ

مَا شَأْنُ «كِسْـرَى» فِى الْفُتُـــو   حِ وَمَـــا مَفَاخِـــرُ «تُبَّـــعِ» ؟

لا مَجْـــدَ يَبْلُغُ مَجْـدَكِ الأَسْنَـ   ـــىَ بِـــذَا الْمَفْـــرَعِ[4]

---

(١) الذرائر : جمع ذرية ، وهى الولد والنسل .

(٢) يجددن : يجتهدن ويشتددن .

(٣) الظلع : جمع ظالع وهو الذى يغمز فى مشيته .

(٤) المفرع : المكان العالى .

لاَ صَفْــــوَ أَرْوَحُ مِـــــنْ تَحَيُّرِ خَصْمِــكَ الْمُتَضَعْضِــعِ

لاَ سِلْمَ أَبْهَجُ مِــنْ تَهــــا يُلِ رُكْنِــــهِ الْمُتَزَعْــــزِعِ

أُمَمُ الأَثْـــيرِ جَمَالُهَـــــا فِـــى أَنْ تُرَاعَ ، فَرَوِّعِـــى

وَتَتِمُّ آيَـــــةُ حُسْـــنِهَا بِالأَمْـــنِ بَعْـــدَ تَفَزُّعِ

فَإِذَا مَضَيْتِ وَلَــمْ تُصَــبْ بِبَلاَئِــــكِ الْمُتَوَقَّـــــعِ

بَلْ جُــزْتِ بِالْحُسْـنَى وَسَــا ءَ تَــورُّعُ الْمُتَــــوَرِّعِ

ثَابَتْ إِلَــى فَرَحٍ ، كَــــذَ لِكَ تَوبَـــةُ الْمُتَسَــرِّعِ

فَسَدِيمُهَـــا كَغُبَـــارِ ذُرٍ سَـــاطِعٍ فِـــى مَسْطَعِ(١)

وَالْجَــــوُّ تَمْــلأُهُ نُسَــا لاَتُ الــبُرُوقِ الــلُّمَّعِ(٢)

❁

سِيــــرِى وَوَلِّى صَــدْرَكِ الْـ مُشْتَــاقَ شَــطْرَ الْمَرْبَـــعِ(٣)

---

(١) السديم : رقيق الضباب .

(٢) النسالة : يراد بها ما يتطاير من البروق فى عرض السماء ، وهى فى الأصل ما يسقط من الصوف أو الشعر .

(٣) المربع : يراد به الوطن ، وهو فى الأصل المنزل فى الربيع .

حَتَّـــى إِذَا مَـــا جِئْتِـــهِ وشَرَعْتِ أَعْـــذَبَ مَشْـــرعِ[1]

وَشَـــدَوْتِ مَا شَـــاءَ الـــسُّرُو رُ عَلَـــى ارْتِقَـــاصِ الأَفْرُعِ

عُوجِـــــــى بِبُسْتَانٍ هُنَا لِكَ فِـــى الْعَرَاءِ مُضَيَّـــعِ

صَفْصَافُـــهُ مُتَنَـــاوِحٌ وَالـــنَّوْرُ بَـــادِى الْمَدْمَـــعِ

لِى فِي ثَرَاهُ دَفِيـــــنَةٌ كَـــــالْكَنْزِ فِى الْمُسْتَوْدَعِ

تُخْفِـــى الأَزَاهِـــرُ قَبْرَهَـــا عَـــنْ أَعْيُنِ الْمُســـــتَطْلِعِ

كَانَتْ مِـــــثَالاً لِلْمَحَا سِنِ فِـــى مِثَـــالٍ أَرْوَعِ

فَتَحَـــوَّلَتْ لُطْفَــــاً إِلَى طَيْـــفٍ أَرَقَّ وَأَبْـــدَعِ

طَيْـــفٍ يَشِـــفُّ بِهِ الْبِلَى عَنْ رِفْعَـــةٍ وتَمَنُّـــعِ

فَإِذَا الـــــسَّمَاءُ قَرَارُهُ وَالـــنَّجْمُ بَعْـــضُ الْيَرْمَـــعِ[2]

قُولِـــــى لَهُ إِنْ جِئْتِهِ يَا أُنْسَ هَـــذَا الْبَلْقَـــعِ[3]

أَنُحِسُّ فِى هـــذَا الـــثَّرَى نَبَضَانَ قَلْـــبٍ مُوجَـــعِ ؟

---

(١) شرعت : جئت إلى الماء . المشرع : المنهل .

(٢) اليرمع : الحصى اللامع .

(٣) البلقع : الأرض المقفرة .

هـــذَا حَنِـــينٌ مِـــنْ فُؤَا ... دِ مُحِبِّكِ الْمُتـــــــــفَجِّعِ
عَدَتِ الْعَـــوَادِى جَسْـــمَهُ ... عَنْ قُرْبِ هـــذَا الْمَضْجَـــعِ
فَمَضَـــى بِأَحْـــزَنِ مَا يكُـــو ... نُ أَخُـــو الأَسَـــى وَبِأَجْـــزَعِ
وَنَوَى الــــضَّرِيـــحِ أَضَـــرَّهُ ... كَنَـــوَاكِ يَـــوْمَ المَصْـــرَعِ

❀

نِعْمَ الـشَّفَـــيعَةُ أَنْتِ لِـى ... عِنْــدَ الْمَلاَئِـــكِ ! فَاشْفَعِى
مَنْ لِى بِصَـــوْتٍ مِثْلِ صَـــوْ ... تِكِ مُبْلِـــغٍ لِتَضَرُّعِـــى ؟
يُنْهَى إلـــى ثَاوِى الْجِنَـــا ... نِ فَيَسْتَجِيـبُ وَقَـــدْ دُعِـــى
إِنَّ الَّذِى أَبْكـيـــــهِ وَهْـــ ... ـــوَ مِنَ الــنَّعِيـــمِ بِمَرْتَـــعِ
بَرٌّ عَلَى رَغْـــمِ الــــفِرا ... قِ بِعَبْـــدِهِ الْمُتَخَضِّـــعِ
كَمْ زُرْتُـــهُ فِـــى يَقَظَةٍ ... وَأَلَـــمَّ بِـى فِـى مَهْجَـــعِ
يَدْنُـــــو إِلَـــىَّ تَنَزُّلاً ... عَـــنْ عَرْشِـــهِ الْمُتَرَفِّـــعِ
وَكَـــمِ الْتَمَسْـــتُ لِصَوْتِـــهِ ... رَجْعـــاً فَحَقَّـقَ مَطْمَعِــى

قَطَعَ الـــغُيُوبَ وَجَـــاءَنِى   بِعَرُوضِـــهِ الْمُتَقَطِّـــعِ[1]

هَـــذَا الْوُفَـــاءُ وَفَـــاؤُهُ   فَادْعِيـــــهِ لاَ يَتَمَنَّـــعِ

بِهُتَـــافِ لَوْعَتِـــىَ اهْتِفِـــى   وَصَدَى حَنِـــينِى رَجِّعِـــى

حَتَّى يُجِـــيبَ ، فَأَنْصِتِـــى   بِضَمِيـــــرِىَ الْمُتَسَمِّـــعِ !

---

(١) العروض : المراد به الشعر .

٢٧ إلى حافظ إبراهيم

في الحفلة التي أقيمت لتكريمه عام ١٩١٢

يَا شَاعِرَ النِّيلِ جَارِ النِّيلَ بِالشِّيَمِ   وَحَاكِ أَطْيَارَهُ بِالشَّدْوِ وَالنَّغَمِ
فِي ضِفَّتَيْهِ وَفِي تَغْرِيدِ صَادِحِهِ   مَا فِي نَظِيمِكَ بَيْنَ الْوَحْيِ وَالْكَلِمِ
وَفِي مَعَانِيكَ مِنْ أَرْوَاحِ جَنَّتِهِ   أَشْفَى النُّسَيْمَاتِ لِلأَرْوَاحِ وَالنَّسَمِ[١]
شِعْرٌ كَأَنَّ مَفِيضَ الْخَيْرِ سَالَ بِهِ   عَلَى النُّهَى سَيْلُهُ فِي الْقَاعِ وَالأَكَمِ[٢]
كِلاَهُمَا مُخْصِبٌ قَحْلاً فَمُخْرِجُهُ   حَقْلاً وَمُؤْنِسُهُ فِي وَحْشَةِ الدِّيَمِ[٣]
يَطْغَى فَيَغْشَى عَبُوسَ الْوَجْهِ أَمْرَدُهُ   وَيَنْجَلِي عَنْ عِذَارٍ فِيهِ مُبْتَسِمِ[٤]

---

(١) الأرواح : جمع ريح وهو الهواء . النسم : النفوس .

(٢) القاع : الأرض المنخفضة . الأكم : التلال .

(٣) في وحشة الديم: أي في غيبتها . والديم جمع ديمة : وهي المطرة الدائمة .

(٤) العذار : جانب الوجه .

بِذَلِكَ الشِّعْرِ صِفْ «مصراً» وَأُمَّتَـــهَا ... صِفْ كُلَّ مَعْنًى بِهَا كَالـــنَّافِحِ الـــشَّبِمِ

صِفْ ذَلِكَ الـلُّطْفَ لَـوْ عَزَّتْ بِهِ أُمَمٌ ... يَوْمـــاً لَعَزَّتْ بِهِ «مصرٌ» عَلَى الأُمَمَ

صِفْ ذَلِـكِ الأُنْسَ يَجْرِى مِـنْ مَنَابِعِهِ ... عَذْبَ الْمَنَاهِلِ مَبْذُولاً لِكُلِّ ظَمِى

صِفْ ذَلِـكِ الـرِّفْقَ يَقْضِى فِى تَرَقْرُقِهِ ... مَالَيْسَ تَقْضِى رِقَاقُ الـسُّمْرِ وَالْخُذُمِ(١)

صِفْ مَا يَشَاءُ جَمَالُ الـطَّبْعِ مِنْ دَعَةٍ ... وَمَا يَشَاءُ جَلاَلُ النَّفْسِ مِنْ كَرَمِ

تِلْكَ الْخَلاَئِقُ لاَ يَجْلُو رَوَائِعَهَا ... نَظْم كَنَظْمِكَ مِنْ جَزْلٍ وَمُنْسَجِمِ

❀

إِنِّى أَوَدُّ لَهَا وَصْفـــاً وَيَرْجِعُنِى ... عَنْهُ قُصُورِى إِذَا حَثَّ الْهَوَى قَلَمِى

مَنْ لِى بِنَظْمِكَ أَسْتَدْنِى بِمُعْجِزِهِ ... أَقْصَى مَرَامٍ لآمَالِى عَلَى هِمَمِى

حَمْداً «لِمـــصْرَ» وَإِطْرَاءَ لأُمَّتِهَا ... عَنْ صَادِقٍ فِيهِمَا عَالٍ عَنِ التُّهَمِ

«مصرُ» الْحَضَارَةُ وَالآثَارُ شَاهِدَةٌ ... «مصرُ» السَّمَـــاحَةُ مصرُ الْمَجْدُ مِنْ قِدَمِ

مصرُ الـــعَزِيـــزَةُ إِنْ جَارَتْ وَإِنْ عَدَلَتْ ... «مصرُ» الْحَبِيـــبَةُ إِنْ نَرحَلْ وَإِنْ نُقِمِ

نَحْنُ الـــضُّيُوفُ عَلَى رَحْبٍ وَمَكْرُمَةٍ ... مِنْهَا وَإِنَّا لَحَفَّاظُونَ لِلـــذِّمَمِ

جِئْنَا حِمَاهَا وَعِشْنَا آمِنـــينَ بِهِ ... مُمَتَّعِينَ كَـــأَنَّ العَيْشَ فِى حُلُمِ

---

(٥) الخذم : السيوف .

فـــــأَيُّنا قَابَلَ الـنُّعْمَى بِسَيِّئَةٍ فـــــإِنّنَا مُلْزِمُوهُ أَنْكَرَ الْحُرَمِ[1]

وَمَنْ يَنَلْهُ بِإِيـذَاءٍ فـــــإِنَّ بِنَا ضِعْفَيْهِ مِنْ أَثَرِ الإِيــذَاءِ وَالأَلَمِ

لَكِنَّ قَوْمِىَ أَبْرَارُ الـــقُلُوبِ بِهِ دَعِ الْمُرِيبَ الَّذِى يَدْعُو إِلى وَهَمِ

❁

لاَ بَارَكَ اللهُ فِى سَاعٍ بِتَفْرِقَةٍ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ وَالْجَـــارَيْنِ مِنْ أَمَمِ[2]

يَاحَافِظَ الْخَيْرِ كُنْ فِى عَقْدِ وُدِّهِمَا فَرِيدَةَ الـعِقْدِ يَلْبَثْ غَيْرَ مُنْفَصِمِ

أَكْشِفْ بِحَزْمِكَ أَسْتَارَ الْحَفِيـــظَةِ عَنْ فَخٍّ تُصَادُ بِهِ الأَعْرَابُ لِلْعَجَمِ

أَلـشَّاعِرُ الْحَقُّ مَنْ يَجْلُو الـشُّعُورُ لَــهُ شَمْســاً مِنَ الْوَحْى فِى دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

بَيْنَ الـنَّبِيِّينَ وَالسُّوَاسِ نُصَّ لَــهُ مِنَ العُلَـى مِنْبَرٌ لِلرَّأْىِ وَالْحُكُمِ

وَعَلَّ أَيْسَرَ شَىْءٍ فِى مَحَامِدِهِ تَجْوِيدُ قَوْلٍ مُقَفًّى اللَّفْظِ مُنْتَظِمِ

فَخَارُهُ حَيْثُ يَلْقَى رَحْمَةً وَهُدًى وَحَيْثُ يَنْهَى عَنِ الأَهْوَاءِ وَالنِّقَمِ

وَحَيْثُ يَحْمِى الْحِمَى مِنْ ضَلَّةٍ وَأَسىً وَحَيْثُ يَدْعُو إِلى الأَخْطَارِ وَالعِظَمِ

هَذَا الَّذِى أَنْتَ يَاابْنَ النِّيلِ فَاعِلُهُ وَذَاكَ مَجْدُكَ مَجْدُ النِّيلِ وَالْهَرَمِ

---

(١) الحرم : جمع حرمة ، وهى الحرام .

(٢) من امم : من قرب .

٢٨ محاورة مشتركة

بين حافظ إبراهيم وخليل مطران

أنشدها الشاعران فى حفلة خيرية لرعاية الأطفال بدار الأوبرا

حافظ

هَذَا صَبِىٌّ هَائِمٌ ... تَحْتَ الظَّلاَمِ هُيَامَ حَائِرْ

أَبْلَى الشَّقَاءُ جَدِيدَهُ ... وَتَقَلَّمَتْ مِنْهُ الأَظَافِرْ

فَانْظُرْ إِلَى أَسْمَالِهِ ... لَمْ يَبْقَ مِنْهَا مَا يُظَاهِرْ[١]

هُوَ لاَ يُرِيدُ فِرَاقَهَا ... خَوْفَ الْقَوَارِسِ وَالْهَوَاجِرْ[٢]

لَكِنَّهَا قَدْ فَارَقَتْهُ ... فِرَاقَ مَعْذُورٍ وَعَاذِرْ

إِنِّى أَعُدُّ ضُلُوعَهُ ... مِنْ تَحْتِهَا وَاللَّيْلُ عَاكِرْ[٣]

---

(١) يظاهر : يعين ، أى يصلح للبس .

(٢) القوارس : شدائد البرد ، والهواجر : شدائد الحر . (٣) عاكر : مقبل بظلامه .

أَبْصَـــرْتُ هَيْكَـــلَ عَظْمِـــهِ فَذَكَـــرْتُ سُـكَّانَ المَقَابِرْ

فَكَـــأَنَّمَا هُـــوَ مَيِّتٌ أَحْيَاهُ «عِيـــسَى» بَعْدَ «عَاذِرْ»

قَدْ كَـــادَ يَهْدِمُـــهُ الـنَّسِـــيمُ وَكَـــادَ تَذْرُوهُ الأَعَاصِرْ

وَتَرَاهُ مِـــنْ فَرْطِ الْهُزَا لِ تَكَـــادُ تَثْقُبُهُ المَوَاطِـــرْ

عَجَبـــاً أَيُفْرِسُهُ الـطَّـوَى فِي قَلْبِ حَاضِرَةِ الْحَوَاضِـرْ ؟

وَتَغُـــولُهُ الْبُؤْسَـــى وَطَرْ فُ «رِعَايَـةِ الأَطْفَـالِ» سَـاهِرْ ؟

كَمْ مِثْلِهِ تَحْـــتَ الـــدُّجَى أَسْـوَانَ بَادِي الـضُّرِّ حَائِـرْ[1]

خَزْيَانَ ، يَخْرُجُ فِـــي الـظَّلاَ مِ خُـرُوجَ خُفَّـاشِ المَغَـاوِرْ

مُتَلَفِّعَـــا جِلْبَـــابَـــهُ مُتَرَقِّبـــاً مَعْـرُوفَ عَابِرْ

يَقْـــذَى بِرُؤْيَتِـــهِ ، فَـــلاَ تَـلْوِي عَلَيْـــهِ عَيْـنُ نَاظِـــرْ

مطران

لَـــوْ كَـــانَ فَـــذّاً . . إِنَّمَـــا هُـــوَ عَاثِرٌ مِـنْ أَلْـفِ عَاثِرْ

أُنْظُرْ إِلى الـيُسْـــرَى ، وَكَمْ تَدَعُ المَيَامِنُ لِلْـــمَيَاسِرْ

---

(١) أسوان : حزين .

هَــــذِى فَتَــــاةٌ حَالُهَــــا أَدْهَــــى وَأَفْطَــرُ لِلْــمَرَائِــرْ
هِىَ بَضْعَةٌ لِشَقِــــــــيَّةٍ زَلاَّءَ مَــا كَــانَتْ بِعَاقِــرْ[1]
فِى مَشْيِــــهِا وَشُحُوبِهَــا سِيَمَــــا لِتَرْبِيَةِ الْعَوَاهِــرْ
وَارَحَمَـــــــتَا لِصِبَاكِ يَا شِبْهَ الأَمَالِيـــدِ الـنَّوَاضِرْ[2]
أَكَــذَاكِ يُلْقَى فِــى نَجَــا سَــاتِ المَوَاطِــئِ بِالأَزَاهِــرْ ؟
فَإِذَا رَخُصْـــنَ ، أَلاَ كَــرَا مَةَ لِلصَّغِيــرَاتِ الـطَّوَاهِرْ ؟
أَتَــرَى تَثَنِّيــــــهَا وَلَفْـــتَةَ كُــلِّ سَائِــرَةٍ وَسَائِــرْ ؟
هُمْ يُعـــجَبُونَ بِلُطْـفِ مَا تُبْدِيـهِ مِــنْ غَنَجِ الـفَوَاجِرْ[3]
وَكَــأَنَّهُمْ لاَ يَجــزَعُو نَ لِمِثْلِ هَــذِى فِى الـكَبَائِــرْ
وَكَثِيــــرُهُمْ مُسْتَهْزِئٌ وَقَلِيــلُهُمْ إِنْ بَرَّ زَاجِــرْ
لاَ يَشْعُرُونَ بِأَنَّ تِلْـــــــكَ مِنَ الْفَـوَادِحِ فى الْخَسَائِرْ

---

(١) بضعة : ابنة . الزلاء : التى فسقت .

(٢) الأماليد جمع أملود : وهو الغصن الرطيب .

(٣) غنج : دلال .

حافظ

قَعَدَتْ شُعُوبُ الـــشَّرْقِ عَنْ كَسْـــبِ المَحَامِـــدِ وَالمَفَاخِرْ

فَونَتْ، وَفِى شَرْعِ الـــتَّنَا حُـرِ : مَنْ وَنَى لاَشَـكَّ خَاسِرْ

تَمْشِى الـــشُّعُوبُ لِقَصْدِهَا قُدُمـــاً وَشَعْبُ النِّيـلِ آخِرْ

كَمْ فِى الـــكِنَانَةِ مِنْ فَتًى نَدْبٍ وَكَمْ فِى الـــشَّامِ قَادِرْ

لَكِنَّهُم لَـــمْ يُرْزَقُـــوا رَأْيـــاً وَلَـــمْ يَرِدُوا المَخَاطِرْ

هَذَا يَطِيـــرُ مَعَ الخَيَـــا لِ ، وَذَاكَ يَرْتَجِـلُ الـنَّوَادِرْ

جَهِلُوا الْحَيَــاةَ ، وَمَــا الْحَيَا ةُ لِغَيْرِ كَـــدَّاحٍ مُغَـــامِرْ

يَجْتَـــابُ أَجْــوَازَ الْقِفَـــا رِ وَيَمْتَطِـــى مَتْنَ الـزَّوَاخِرْ(١)

لاَ يَسْتَشِيـــرُ سِـوَى العَزِيـــمَةِ فِـى المَوَارِدِ وَالمَـصَادِرْ

يَرْمِـــى وَرَاءَ الْبَاقِيَـــا تِ بِنَفْسِـــهِ رَمْىَ الْمُقَـــامِرْ

مَا هَـــدَّ عَـــزْمَ الْقَادِرِيـــنَ «مِصْـرَ» إِلاَّ قَوْلُ «بـاكِرْ»

كَمْ ذَا نُحِيـلُ عَلَـــى غَـــدٍ وَغَدٌ مَصِيـــرَ الـيَوْمِ صَائِـرْ

---

(١) يجتاب : يسلك . أجواز القفار : بطون الصحارى . الزواخر : البحار .

خوَت الـــدِّيَارُ ، فَـــلاَ اخْترَا   عَ وَلا اقْتصَـــادَ وَلا ذَخَائـــرْ
دعْ مَـــا يُجَشِّمُهَـــا الْجُمُـــو   دُ وَمَا يَجُـــرُّ مِنَ الْجَرَائـــرْ[1]
فِي الاقْتصَـــادِ حَيَاتُنَـــا   وَبَقَاؤنَـــا رَغْمَ الْمُكَـــابِرْ
تَربُو بِهِ فِيـــنَا المَصَـــا   نِعُ وَالْمَـــزَارِعُ وَالمَتَاجِـــرْ

مطران

يَامَـــنْ شكَا حَـــالاً نُعَـــا   نِى مِنْ عَوَاقِبِهَـــا المَخَاطِـــرْ
لاَ وَالَّـــذى وَلاَّكَ نَـــا   صِيَـــةَ الـــبَيَانِ بِـــلاَ مُكَابِرْ
لَمْ تَعْدُ مَا فـــى الـــنَّفْسِ مِنْ   شَتَّى الْهَوَاجِـــسِ وَالْخَوَاطِـــرِ
أُضْحِى كَمـــا أُمْسِى وَبِى   شُغُلٌ مُعَـــادٍ أَوْ مُسَـــاهِرْ
يَا لَيْتَهُ الْهَمُّ الَّـــذِى   يَفْدِيـــهِ بِالـــرُّوحِ الْمُخَاطِرْ
لَكِنَّهُ هَـــمٌّ بِمَـــا   يُرْدِى الأَبِـــيَّ مِنَ الـصَّغَائـــرْ
قَدْ تَقْتُلُ الْحَشَرَات مَـــنْ   هَانَـــتْ عَلَيْهِ ، فَـــلاَ يُحَـــاذِرْ

.

---

(١) الجرائر : جمع جريرة ، وهى الذنوب والآثام .

وَيَعِيشُ مَنْ رَامَ المَنِيـ ـعَةَ دُونَهَا أَجَمُ القَسَاوِرْ[1]

دَعْنَا نُفَرِّجْ مَا بِنَا شَيْئاً بِمُخْتَلِفِ المَنَاظِرْ

يَسِرْ بِى إِلى الدَّارِ الَّتِى شِيدَتْ عَلَى كَرَمِ العَنَاصِرْ

حَيْثُ المُرُوءَةُ بِالْفَقِيـ ـرِ أَبَرُّ مِنْ أَدْنَى الأَوَاصِرْ

نَدْفَعْ إِلَيْهَا ذَيْنِكَ الطِّفْلَيْنِ وَاللَّهُ المُؤَازِرْ

مَنْ لِى وَمَنْ لَكَ يَا أَخِى بِخَزَائِنِ الذَّهَبِ العَوَامِرْ

نَأْسُو بِهِنَّ خَلاَئِقاً دَارَتْ عَلَيْهِنَّ الدَّوَائِرْ

وَنُشَيِّدُ مَاشَاءَ السَّخَا ءُ مِنَ المَعَاهِدِ وَالمَنَائِرْ

وَنَقُولُ : يَادَهْرُ احْتَكِمْ مَا أَنْتَ بَعْدَ اليَوْمِ جَائِرْ

❀

أَسُرَاةَ «مِصْرَ» وَقَادَةَ الأَلْبَـ ـابِ فِيهَا وَالضَّمَائِرْ :

رُدُّوا عَلَيْهَا صِبْيَةً لَعِبَ الفَسَادُ بِهِمْ يُقَامِرْ

---

(١) المنيعة أى الخطة الصعبة والأمر الجلل . الأجم : جمع أجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف يتخذها الأسد عريناً له . القساور : الأسود .

أَلْقَى بِهِمْ فِى مَطْرَحِ الأَزْلاَمَ سِكِّيرٌ وَفَاجِرْ[1]

أَوْ فُرِّقُوا سِلَعاً وَفَرَّقَهُمْ مِنَ الْفُسَّاقِ تَاجِرْ

مَا يُصْبِحُونَ غَداً ؟ وَكَيْفَ مَصِيرُهُمْ بَيْنَ الْمَصَايِرْ ؟

مِنْ هَؤُلاءِ ، أَيَرْتَجِى خَيْراً «لِمِصْرَ» أُولُو الْبَصَائِر ؟

هُمْ فِى جَمَاعَتِكُمْ صُدُوعٌ فَاجْبُرُوا ، وَاللهُ جَابِرْ

(١) الأزلام : جمع زلم ، وهو السهم لا ريش له ، وكان العرب يتخذونها للّعب المسمى بالميسر . والمراد بمطرح الأزلام موطن المراهنات .

٢٩ الطباق البديـــع

شَعَرَاتٌ ضَحِكْنَ فِى فُودِكِ الأَسـ ـوَدِ . هَذِى نِهَايَةٌ فِى الـدَّلاَلْ
وَالــطِّبَاقُ الْبَدِيــعُ أَلْطَفُ شَئْ تَتَجَلَّى بِــهِ مَعَـانِــى الْجَمَــالْ

٣٠ الصبابة السكرى

أَبَتِ الـــــــــصَّبَابَةُ مَوْرِداً إِلاَّ شُؤُونَكَ وَهِيَ شكْرَى

يَاسَاقِيَ الـــــــــدَّمْعِ الَّذِى مِنْ مُقْلَتَيْهِ يَسِيـــــــــلُ خَمْرَا

لاَ غَرْوَ أَنْ بَدَتِ الـــــــــصَّبَا بَةُ وَهْيَ فِى عَيْنَيْكَ سكْرَى

٣١ ليلة سهاد

قيلت فى أيّم حزينة ، ترقب النجوم وتناجيها ببثّها[1]

طَالَ لَيْلــِي وَالــثُّرَيَّا فِي سُهَادِ وَكِلاَنَا فِى ظَلاَمٍ وَحِدَادِ

إِيــهِ يَا أُخْتِىَ فِى الْوَحْشَةِ هَلْ لكَ إِلْفٌ مِثْلَ مَنْ أَبْكِيهِ مَاتْ ؟

فَتَنَاثَرْتِ وَلَــمْ يَبْقِ الأَسَى مِنْكِ إلاَّ دَمَعَاتٍ ذَاكِيَاتْ

كُنْتُ لاَ أَعْلَمُ والإِلْفُ مَعِى غَيْرَ أَنِّى فِى سُرُورٍ ونَعِيــمْ

كُنْتُ إن أَنْظَرْكِ فى جُنْحِ دُجـى لا أرى فـيكِ سِوى درٍ وسـيم

لَمْ أَخَلْ أَنَّ الــسَّمَوَاتِ الْعُلَى مُصْحَفٌ يُنْذِرُنَا بِالحَسَرَاتْ

لَمْ أخَلْ أَنَّ لِبُؤسِى آيَةً نُقِّطَتْ مِنْكِ بِتِلْكَ الْعَبَرَاتْ

ذَاكَ مَا عَلَّمَنِى بَعْدَ الــغُرُورْ حُزْنُ قَلْبِــى وَالأَسَى نَارٌ وَنُورْ

---

(١) أيّم : المرأة التى مات عنها زوجها .

أَخْبِرِينِـي أَكَمَــــــا شَبَّهَ لِي   مِنْ دَلاَلاَتِ الــنُّجُومِ الــسَّافِرَهْ

ذَلِكَ الـكَوْنُ ، وكَمْ مِنْ عَجَبٍ   فِيـــهِ يَبْدُو لِلْعُيُونِ السَّاهِرَهْ ؟

أهــو الوَادِى الـزُّجَاجِـىُّ الَّذى   صَحَّ فِيــهِ أَنَّهُ وَادِى الدُّمُوعِ ؟

كُلَّمَا اهْتَاجَ الأَسَى ظُلْمَتَهُ   نَضَحَتْ زُهْراً نَدِيَّاتِ الـسُّطُـوعْ

عَبَرَاتٌ أُرْسِلَتْ حَائِــــــرَةً   مَا لِمَجْرَاهَا عَلَى الــدَّهْرِ مَدَى

يَتَجَاوَرْنَ ومَا مِنْ مُلْتَقَــــــىً   يَتَجَارَيْنَ فُــــرَادَى أَبَــــدَا

أَرْشِدِيـــــنِي إنْ تَرَيْنِي واهِمَهْ   وأَنِيــــرِينِى فَــــإِنِّى هَائِمَهْ

أَمْ لَعَلَّ الــــزُّهْرَ لِلْخُلْدِ كُوىً   وعُيُونٌ لِقُلُــــوبِ المُتَّقِــــينْ

مَنْ رَنَا مِنهَا إلــــى مَا بَعْدَهَا   فَهُنَاكَ الْحَقُّ والعِلمُ اليَقِـــينْ

يَا إِلــــهِـى إنَّنــى جَاثِـــيَةٌ   لَكَ فِي حُــــزْنٍ وَذُلٍ وَخُشُوعْ

يَا إِلــــهِـــى إِنَّنــى غَاسِلَةٌ   قَدَمَ الــسَّعْدِ المُوَلِّى بِالــدُّمُوعْ

أَيُّهَا المَوْلَــى الَّــذِى جَرَّعَنِـى   هَذِهِ الْغُصَّةَ مِنْ بَعْدِ الــصَّفَاءْ

وَبِمَـــا مَتَّعَنِــــى عَاقَبَنِــــى   وَإِلَيْــهِ حَمْدُ مَا سَــرَّ وَسَــاءْ

بِالْجِرَاحَــاتِ الَّتِى تَشْفَعُ لِــى   وَبِحِرْمَانِيَ أَقْصَــــى أَمَلِــــى

أُنْضُ سِتْرَ الْغَيْبِ عَنِّى وَأَجِزْ لِضَمِيـــرى نَظْرَةً فَوْقَ السَّدِيمْ[1]
لأَرَى وَجْهَ حَبِيـــبى مُشْرِقـــاً وَأَرَاهُ مُسْتـــــــقِرًّا فِى النَّعِيـمْ

(١) السديم : شبه الضباب .

٣٢ وردة بيضـــاء

نبتت فى مسفك دماء

عَجَبٌ يَا ابْنَةَ الـــــــرِّيَاضْ	مِنْـــكِ هَـــذَا الـــتَّبَسُّمُ
وَتَرَائِيـــــــــكِ بِالْبَيَاض	حَيْثُمــــــا وِرْدُكِ الـــدَّمُّ
كَيْفَ آثَرْتِ يَا عَــــرُوسْ	سَــاحَةَ الْحَــرْبِ وَالْحَرَبْ[1]
لِلــــتَّجَلِّى عَلَــــى رُؤُوسْ	وَالْمُبَاهَـــاةِ فِــــى خَـــرِبْ
أَتَبَيَّنْــــتِ فِى الــــثَّرَى	سُــوءَ مَا دَبَّـــجَ النَّجِـــيعْ[2]
أَنْكَرُ الْفَــــــنِّ أَنْ تُرَى	زِيـــنَةُ الْمُـــوْتِ فِى الْبَدِيـــعْ
أَتَبَيَّنْتِ فِـــى الـعَقـــــيقْ	حُمْرَةً شَـــــابَهَا اخْضِرَارْ[3]

(١) الحرب : الويل .

(٢) النجيع : الدم إذا كان مائلاً إلى السواد .

(٣) العقيق : المَسِيل .

شِــبْهَ ذَوْبٍ مِـنَ الْعَقَـــيقْ   لاَحَ فِيــــهِ انْطِفَـاءُ نَارْ[1]

أَتَبَيَّنْـــتِ لِلْحَجَــــرْ   عَارِضـــاً كَالِحَ الـسُّطُوعْ[2]

فِيـــهِ مَا يُؤلِمُ الـنَّظَـرْ   مِـنْ جِـرَاحٍ وَمِـنْ دُمُوعْ

❁

فَرَنَـــتْ غَيْرَ غَاضِبَـــهْ   تَتَهَـــادَى بِـــلاَ أَسَفْ

وَأَجَابَـــتْ مُدَاعِبَـــهْ   لاَ تَلُمْنِـى .... أَنَا الـشَّرَفْ

---

(١) العقيق : الخرز الأحمر .

(٢) العارض : الجانب .

٣٣ تحية لشوقي

وقد عاد من منفاه بالأندلس

تلـــكَ الـــدُّجُنَّةُ آذَنَتْ بِجَلاَءِ وَبَدَا الصَّبَاحُ فَحَيَّ وَجْهَ ذُكَاءِ[١]

ألـــعَدلُ يَجلُـــوهَا مُقلاً عَرشَهَا وَالـظُّلـمُ يَعثُرُ عَثْرَةَ الـظَّلْمَاءِ[٢]

يَا أَيُّهـــــا اليَومُ الـعَظِيمُ تَحِيَّةً فُكَّ الأَسَارَى بَعـــــدَ طُولِ عَنَاءِ

أَوْشَكْتُ فيكَ وقَد نَسِيتُ شكِيَّتِي أَنْ أُوسِعَ الأَيَّامَ طِيـــــبَ ثَنَاءِ

حَسْبِي اعـــتِذَارُكَ عَن مَسَاءَةِ مَامَضَى بِمَبَرَّةٍ مَوْفُورَةِ الآلاَءِ[٣]

أَلشَّمـسُ يَزدَادُ ائتِلافـــاً نُورُهَا بَعـــدَ اعْتِكَارِ اللَّيـلَةِ اللَّيْلاَءِ[٤]

---

(١) الدجنة : الظلمة . ذكاء : من أسماء الشمس .

(٢) مقلا : حاملاً .

(٣) الآلاء ، جمع إلى : وهو النعمة .

(٤) اعتكار الليل : اشتداد ظلمته .

وَيُضَاعِفُ السَّرَّاءَ فِى إِقْبَالِهَا   تَذْكَارُ مَا وَلَّى مِنَ الضَّرَّاءِ

لاَ كَانَتِ الحِجَجُ الَّتِـى كَابَدْتُهَا   مِن بَدْءِ تِلكَ الغَارَةِ الشَّعْوَاءِ[1]

أَلحُزْنُ حَيثُ أَبِيتُ مِلْءُ جَوَانِحِى   وَالنَّارُ مِلءُ جَوانِبِ الغَبْرَاءِ[2]

دَامِى الْحُشَاشَةِ لَمْ أَخلْنِى صَابِراً   بَعْدَ الفِرَاقِ فَظَافِراً بِلِقَاءِ[3]

مُنْهَدُّ أَرْكَانِ العَزِيمَةِ لَمْ أَكَدْ   يَأْساً أُمَنِّى مُهْجَتِى بِشِفَاءِ

حِجَجٌ بَلَوْتُ المَوْتَ حِينَ بَلَوْتُهَا   مُتَعَرِّضاً لِى فِى صُنُوفِ شَقَاءِ

لَكِنَّهَا وَالْحَمْدُ لله انْقَضَتْ   وَتَكَشَّفَتْ كَتَكَشُّفِ الغَمَّاءِ

وَغَدَا «الْخَلِيلُ» مُهَنَّئاً وَمُهَنَّأً   بَعْدَ الأَسَى وَتَعَذُّرِ التَّأْسَاءِ[4]

جَذْلاَنَ كَالطِّفْلِ السَّعِيدِ بِعِيدِهِ   مُسْتَرْسِلاً فِى اللَّفْظِ وَالإِيمَاءِ

يَقْضِى وَذَلِكَ نَذْرُهُ فِى يَوْمِهِ   حَاجَاتِ سَائِلِهِ بِلاَ إِبْطَاءِ

مَا كَانَ أَجْوَدَهُ عَلَى بُشْرَائِهِ   بِشَرَائِهِ لَوْ كَانَ رَبَّ ثَرَاءِ

عَادَ الْحَبِيبُ الْمُفْتَدَى مِنْ غُرْبَةٍ   أَعْلَتْ مَكَانَتَهُ عَنِ الْجَوْزَاءِ

---

(١) الحجج ، جمع حجة : وهى السنة .

(٢) الغبراء : الأرض .

(٣) الحشاشة : بقية الروح .

(٤) التأساء : التعزى .

إنَّ الأَديــــبَ وَقَدْ سَمَا بِبَلائِهِ غَيْرُ الاديبِ وَلَيْسَ رَبُّ بَلاَءِ[1]

فِى «بَرْشَلُونَةَ» نَازِحٌ عَنْ قَوْمِهِ وَدِيَارِهِ وَالأَهْلِ وَالْقُرَبَاءِ

نَاءٍ وَلَوْ أَغْنَتْ مِنَ الْمُقَلِ الــنُّهَى مَا كَانَ عَنْهُمُ لَحْظَةً بِالــنَّائِـــى

بِالأَمسِ فِيـهِ العَيْنُ تَحسُدُ قَلْبَهَا وَالـــيَومَ يَلـــتَقِيَانِ فِى نَعْمَاءِ

❁

أَهلاً بِنَابِغَةِ الـبِلاَدِ وَمَرحَبَـــاً بِالـــعَبْقَرِىِّ الـــفَاقِدِ الـــنُّظَرَاءِ

«شَوقى» أَمِيـــرِ بِيَانِهَا «شَوقِى» فَـــتَى فِتـــيَانِهَا فِى الوَقْفَةِ الــنَّكْرَاءِ

«شَـوقى» وَهَل بَعدَ اسـمِهِ شَرَفٌ إِذَا شَرُفَتْ رِجَالُ الــنُّبْلِ بِـــالأَسْمَاءِ

وَافَى وَمَنْ لِلــفَاتِحِـينَ بِمِـثْلِ مَا لاَقَى مِنَ الإِعْظَامِ وَالإِعْلاَءِ

«مِصرٌ» تُحَيِّيهِ بِدَمْــــعٍ دَافِقٍ فَرَحـــاً وَأَحْدَاقٍ إِلَيْـــهِ ظِمَاءِ

«مِصرٌ» تُحَيِّيـــــهِ بِقَلبٍ وَاحِدٍ مُوفٍ هَوَاهُ بِهِ عَلَى الأَهْوَاءِ

جَذْلَى بِعَوْدِ ذَكِيِّهَا وَسَرِيِّهَا جَذْلَى بِعَوْدِ كَمِيِّهَا الأَبَّاءِ[2]

حَامِى حَقِيـــقَتِهَا وَمُعْلِى صَوتِهَا أَيَّامَ كَانَ الـــــصَّوتُ لِلأَعْدَاءِ

---

(١) البلاء : الاختبار .

(٢) الكمى : الشجاع المسلح . الأباء : الشديد الامتناع والترفع عن الدنايا .

الْمُنْشِئِ اللَّبِقِ الحَفِيلِ نَظِيمُهُ ... وَنَثِيرُهُ بِرَوَائِعِ الأَبْدَاءِ[1]

ألبَالِغِ الخَطَرَ الَّذِى لَم يَعْلُهُ ... خَطَرٌ بِلاَ زَهْوٍ وَلاَ خُيَلاَءِ

أَلصَّادِقِ السَّمْحِ السَّرِيرَةِ حَيْثُ لاَ ... تَغْدُو لِلرِّيَاءِ مَظَاهِرُ السُّمَحَاءِ

أَلرَّاحِمِ المِسْكِينَ وَالْمَلْهُوفَ وَالْمَـ ... ـظْلُومَ حِينَ تَعَذُّرِ الرُّحَمَاءْ

عِلْماً بِأَنَّ الأَقْوِيَاءِ لِيَوْمِهِمْ ... هُمْ فِى غَدَاةِ غَدٍ مِنَ الضُّعَفَاءِ

أَلطَّيِّبِ النَّفْسِ الكَرِيمِ بِمَالِهِ ... فِى ضِنَّةٍ مِنْ أَنْفُسِ الكُرَمَاءِ[2]

أَلكَاظِمِ الغَيْظَ الْغَفُورَ تَفَضُّلاً ... وَتَطَوُّلاً لِجَهَالَةِ الْجُهَلاَءِ[3]

جِدِّ الْوَفِىِّ لِصَحْبِهِ وَلأَهْلِهِ ... وَلِقَوْمِهِ إِنْ عَزَّ جِدٌّ وَفَاءِ

أَلمُفْتَدِى الْوَطَنَ الْعَزِيزَ بِرُوحِهِ ... هَلْ يَرْتَقِى وَطَنٌ بِغَيْرِ فِدَاءِ ؟

مُتَصَدِّياً لِلْقُدْوَةِ الْمُثْلَى وَمَا ... زَالَ السَّرَاةُ مَنَائِرَ الدَّهْنَاءِ[4]

❁

هَذِى ضُرُوبٌ مِنْ فَضَائِلِهِ الَّتِى ... رَفَعَتْهُ فَوْقَ مَنَازِلِ الأُمَرَاءِ

---

(١) الأبداء ، جمع بدئ : وهو البديع غير المسبوق إليه .

(٢) الضنة : البخل .

(٣) الجهالة : الحمق والجفاء والغلظة .

(٤) الدهناء : الصحراء .

جَمَعَتْ حَوَالَيْهِ القلوب وأَطْلَقَتْ بَعْدَ اعْتِقَالِ أَلْسُنَ الْفُصَحَاءِ
مَا كَانَ لِلإِطْــرَاءِ ذِكْرَى بَعْضِهَا وَهْيَ الَّتـــى تَسْمُو عَنِ الإِطْرَاءِ
قُلْتُ اليَسِيرَ مِنَ الـكَثِيرِ وَلَم أَزِدْ شيـئاً وَكَمْ فِى النَّفسِ مِنْ أَشْيَاءِ
أَرْعى اتِّضَاعَ أَخِى فَأُوجِزُ وَالَّذِى يُرْضِى تواضـعـــه يَسُوءُ إِخَائى

❁

إِنَّ الـــبِلاَدَ «أَبـــا عَلِىٍّ» كَابَدتْ وَجْداً عَلَيْـكَ حَرَارَةَ الـبُرَحَاءِ[1]
وَزَكَا إِلى مَحـــــبُوبِهَا تَحْنَانُهَا بِتَبَغُّضِ الأَحْدَاثِ وَالأَرْزَاءِ
لاَ بِدْعَ فِى إِبْــدَائِــهَا لَكَ حُبَّهَا بِنِهَايَةِ الإِبْـــــدَاعِ فِى الإِبْدَاءِ
فَالمُنْـــجِبَاتُ مِنَ الــدِّيَارِ بِطَبْعِهَا أَحْنَى عَلَى أَبْنَائِـــهَا الــعُظَمَاءِ
أَلقُطْرُ مُهْــــتَزٌّ الجَوَانِبِ غِبْطَةً فِيـــمَا دَنَا وَنَأَى مِنَ الأَرْجَاءِ
رَوِىَ الـعِطَاشُ إِلَــى الـلِّقَاءِ وَأَصْبَحُوا بَعْــدَ الْجَوَى فِى بَهْجَةٍ وصَفَاءِ
وَبِجَانِبِ «الـــفُسْطَاطِ» حَىٌّ مُوحِشٌ هُوَ مَوْطِنُ المَوْتَى مِنَ الأَحْيَاءِ
فِيـــهِ فُؤادٌ لَم يَقَرَّ عَلَى الرَّدَى لأَبَرَّ أَمْ عُوجِلَتْ بِـــــــقَضَاءِ
لاَحَ الرَّجَاءُ لَـهَا بِأَنْ تَلقَى ابـنَهَا وَقَضَتْ فجـاءَ اليَأْسُ حِينَ رَجَاءِ

---

(١) البرحاء : شدة الأذى .

أَوْدَى بِهَا فَرْطُ السَّعَادَةِ عِنْدَمَا ... شَامَتْ لِطَلْعَتِهِ بَشِيرَ ضِيَاءِ
لَكِنَّمَا عَوْدُ الْحَبِيبِ وَعِيدُهُ ... رَدَّا إِلَيْهَا الْحِسَّ مِنْ إِغْفَاءِ
فَفُؤَادُهَا يَقِظٌ لَهُ فَرَحٌ بِهِ ... وَبِفَرْقَدَيْهِ مِنْ أَبَرِّ سَمَاءِ(1)
يَرْعَى خُطَى حُفَدَائِهَا وَيُعِيذُهُمْ ... فِي كُلِّ نُقْلَةِ خُطْوَةٍ بِدُعَاءِ
فِي رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ قَرِّي وَاشْهَدِي ... تَمْجِيدَ «أَحْمَدَ» فَهْوَ خَيْرُ عَزَاءِ

❁

«مِصْرٌ» «بِشَوْقِي» قَدْ أَقَرَّ مَكَانُهَا ... فِي الذُّرْوَةِ الأَدَبِيَّةِ الْعَصْمَاءِ
هُوَ أَوْحَدُ الشَّرْقَيْنِ مِنْ مُتَقَارِبٍ ... مُتَكَلِّمٍ بِالضَّادِ أَوْ مُتَنَائِي
مَا زَالَ خَلَّاقاً لِكُلِّ خَرِيدَةٍ ... تُصْبِي الْحَلِيمَ بِرَوْعَةٍ وَبَهَاءِ(2)
كَالْبَحْرِ يُهْدِي كُلَّ يَوْمٍ دُرَّةً ... أَزْهَى سَنًى مِنْ أُخْتِهَا الْحَسْنَاءِ
قُلْ لِلْمُشَبِّهِ إِنْ يُشَبِّهْ «أَحْمَداً» ... يَوْماً بِمَعْدُودٍ مِنَ الأُدَبَاءِ
مَنْ جَالَ مِنْ أَهْلِ الْيَرَاعِ مَجَالَهُ ... فِي كُلِّ مِضْمَارٍ مِنَ الإِنْشَاءِ ؟

---

(1) الفرقدان : نجمان ، والمراد بهما : ولدا «شوقي» .

(2) الخريدة : اللؤلؤة ، تشبه بها جياد القصائد . تصبى الحليم : تستهويه وتشوقه فيخف لها حلمه ووقاره .

مَنْ صَالَ فِى فَلَكِ الخَيَالِ مَصَالَهُ ... فَأَتَى بِكُلِّ سَبِيَّةٍ عَذْرَاءِ ؟

أَصَحِبْتَهُ وَالـنَّجْمُ نُصْبَ عيُونِهِ ... وَالشَّأْوُ أَوْجُ الـقُبَّةِ الـزَّرْقَاءِ ؟

إِذْ بَاتَ يَسْتَوحِى فَأَوْغَلَ صَاعِداً ... حَتَّى أَلَـمَّ بِمَصْدَرِ الإِيـحَاءِ

أَقَرَأْتَ فِى الـطَّيَرَانِ آيَاتٍ لَهُ ... يَجْدُرْنَ بِالـتَّرتِيـلِ وَالإِقْرَاءِ ؟

فَرَأَيـتَ أَبْدعَ مَا يُرى مِنْ مَنْظَرٍ ... عَالٍ وَلَم تَرْكَبْ مَطِيَّ هَوَاءِ

وَشَهِدتَ إِفشَاءَ الطَّبِيـعَةِ سِرَّهَا ... لِلعَقلِ بَعْـدَ الضَّنِّ بِالإِفـشَاءِ

أَشْفَيتَ قَلْـبَكَ مِن مَحَاسِنِ فَنِّهِ ... فِى شُكـرِ مَا لِلـنِّيـلِ مِنْ آلاَءِ ؟

يَا حُسْنَهُ شُكراً مِن ابن مُخلِصٍ ... لأَبٍ هُوَ المَفْدِىُّ بِالآبَـاءِ

أَغْلَى عَلَى مَاءِ اللآلِئِ صَافِيـاً ... مَا فَاضَ ثَمَّةَ مِنْ مَشُوبِ المَاءِ(١)

أَتَهـادَتِ «الأَهْرَامُ» وَهْىَ طَرُوبَةٌ ... لِمَدِيحِهِ تَهْـتَزُّ كَالأَفْـيَاءِ ؟

فَعَذَرْتُ خِفَّتَهَا لِشِعْرٍ زَادَهَا ... بِجَمَالِهِ البَاقِى جَمَـالَ بَقَاءِ

أَنَظَرْتَ كَيْفَ حَبَا الْهَـيَاكِلَ وَالدُّمَى ... بِحُلِّـى تُقَلِّدُهَا لِغَيْرِ فَنَاءِ ؟

فَكَأَنَّهَـا بُعِثَتْ بِهِ أَرْوَاحُهَا ... وَنَجَتْ بِقُوَّتِهِ مِنَ الإِقْوَاءِ(٢)

---

(١) أى جعل ما يفيض من ماء النيل اغلى من اللؤلؤ .

(٢) الإقواء : الإقفار وخلو المكان من السكان .

أَتَمَثَّلَتْ لَكَ «مِصْرُ» فِي تَصْوِيرِهِ بِضَفَافِهَا وَجِنَانِهَا الْفَيْحَاءِ ؟

وَبَدَا لِوَهْمِكَ مِنْ حُلِيِّ نَبَاتِهَا أَثَرٌ بِوَشْيِ بَيَانِهِ مُتَرَائِـــــــي

أَسَمِعْتَ شَدْوَ الْبُلْبُلِ الصَّدَّاحِ فِي أَيْكَاتِهَا وَمَنَاحَةَ الْوَرْقَاءِ ؟

فَعَجِبْتَ أَنَّى صَاغَ مِنْ تِلْكَ اللُّغَى كَلِمَاتِ إِنْشَادٍ وَلَفْظَ غِنَاءِ

لله يَا «شَوْقِي» بَدَائِعُكَ الَّتِـــي لَوْ عُدِّدَتْ أَرْبَتْ عَلَى الإِحْصَاءِ

مَنْ قَالَ قَبْلَكَ فِي رِثَاءِ نَفْسُهُ يَجْرِي دَمـاً مَا قُلْتَ فِي «الْحَمْرَاءِ»؟(١)

فِي أَرْضِ «أَنْدُلُسٍ» وَفِي تَارِيخِهَا وَغَرِيــبِ مَا تُوحِي إِلى الــغُرَبَاءِ

جَارَيْتَ نَفْسَكَ مُبْدِعاً فِيــهَا وَفِي آثَارِ «مِصْرَ» فَظَلْتَ أَوْصَفَ رَائِي

وَبَلَغْتَ شَأْوَ «الْبُحْتُرِيِّ» فَصَاحَةً وَشَأَوْتَهُ مَعْنـــــــيً وَجَزْلَ أَدَاءِ

بَلْ كُنْتَ أَبْلَغَ إِذْ تُعَارِضُ وَصْفَهُ وَتَفُوقُ بِالتَّمْثِـــــيلِ وَالإِحْيَاءِ

يَا عِبْرَةَ الـــــدُّنْيَا كَفَانَا مَا مَضَى مِنْ شَأْنِ «أَنْدُلُسٍ» مَدَى لِبُكَــاءِ

مَا كَانَ ذَنْبُ الْعُرْبِ؟ مَا فَعَـــــلُوا بِهَا؟ حَتَّى جَلَوْا عَنْهَا أَمَرَّ جَلاءِ

خَرَجُوا وَهُمْ خُرْسُ الْخُطَى، أَكْبَادُهُمْ حَرَّى عَلَى «غَرْنَاطَةَ» الْغَنَّاءِ

أَلْفُلْكُ وَهْيَ الْعَرْشُ أَمْسِ لِمَجْدِهِمْ حَمَلَتْ جَنَازَتَهُ عَلَى الــدَّأْمَاءِ(٢)

---

(١) نفسه : مداده . الحمراء : اسم حصن في غرناطة بنى فيه قصر رائع .

(٢) الفلك : السفن . الدأماء : البحر .

أَوْجَزْتَ حِينَ بَلَغْتَ ذِكْرَى غِبِّهِمْ إِيـــجَازَ لاَ عِيّ وَلاَ إِعْيَاءِ[1]

بَعْضُ السُّكُوتِ يَفُوقُ كُلَّ بَلاغَةٍ فِى أَنْفُسِ الـــفَهِمِينَ وَالأُرَبَاءِ[2]

وَمِنَ التَّنَاهِى فِى الْفَصَاحَةِ تَرْكُهَا وَالْوَقْتُ وَقْتُ الخُطْبَةِ الْخَرْسَاءِ

قَدْ سُقْتَهَا لِلشَّرْقِ دَرْســاً حَافِلاً بِمَوَاعِظِ الأَمْوَاتِ لِلأَحْيَاءِ

هَلْ تُصْلِحُ الأَقْوَامَ إِلاَّ مُثْلَةٌ فَدَحَتْ كَتِلْكَ الْمُثْلَةِ الشَّنْعَاءِ ؟[3]

❁

يَا بُلْبُلَ الْبَلَدِ الأَمِينِ وَمُؤْنِسَ الْـ ـلَيْلِ الْحَزِيـنِ بِمُطْرِبِ الأَصْدَاءِ

غَبَرَتْ وَقَائِعُ لَم تــكُنْ مُسْتَنْشَداً فِـيــهَا وَلاَ اسْمُكَ مَالِئَ الأَنْبَاءِ

لَكِنْ بِوَحْيِكَ فَاهَ كُلُّ مُفَوَّهٍ وَبِرَأْيِكَ اسْتَهْدَى أُولُو الآرَاءِ[4]

هِىَ أُمَّةٌ أَلْقَيتَ فِى تَوحِيـــدِهَا أُسًّا فَقَامَ عَلَيــــــهِ خَيْرُ بِنَاءِ

وَبَذَرْتَ فِى أَخْلاقِهَا وَخِلاَلِهَا أَزْكَى الْبُذُورِ فَـــآذَنَتْ بِنَمـــاءِ

أَمَّا الرِّفَاقُ فَـمَا عَهِدْتَ وَلاَؤُهُمْ بَل زَادَهُمْ مَا سَادَ حُســنَ وَلاَءِ

---

(١) الغب : عاقبة الشئ .

(٢) الأرباء ، جمع أريب : وهو العاقل المتبصر .

(٣) المثلة : العقوبة والتنكيل .

(٤) المفوه : البليغ الكلام .

وَشَبَابُ «مِصــرَ» يَرَوْنَ منـكَ لَهُمْ أَباً   وَيُرُونَ منــكَ بِمَنزِلِ الأَبــنَاءِ

مِن قَولِكَ الحُرِّ الجَرِئ تَعَلَّمُوا   نَبَرَاتِ تِلـكَ الـعِزَّةِ الـقَعْسَاءِ

لاَ فَضلَ إلاَّ فَضلُهُم فِيـمَا انتَهَى   أَمـرُ البِلاَدِ إلَيــهِ بَعــدَ عَنَاءِ

كَانُوا هُمُو الأَشيَاخَ وَالفِتيانَ وَالـ   ـقُوَّادَ وَالأَجـنَادَ فِى الـبَأسَاءِ

لَم يَثْنِهِم يَومَ الـذِّيَادِ عَنِ الحِمَى   ضَنٌّ بـــــأَمَوالٍ ولاَ بِدِمَاءِ

أَبــطَالُ تَفْدِيَةٍ لَقُوا جُهْدَ الأَذَى   فِى الحَقِّ وَامــتَنَعُوا مِنَ الإِيذَاءِ

سَلِمَتْ مَشِيئَتُهم وَمَافِيهِمْ سِوَى   مُتَقَطِّعِى الأَوصَالِ وَالأَعــضَاءِ

إِنَّ العَقِيــدَةَ شِيــمَةٌ عُلْوِيَّةٌ   تَصـفُو عَلَى الأَكْدَارِ وَالأَقْذَاءِ[1]

تَجْنِى مَفَاخِرَ مِن إِهَانَاتِ العِدَى   وَتُصِيبُ إِعــزازاً مِنَ الإِزرَاءِ[2]

بِكْرٌ بـأَوجِ الحُسْنِ أَغـلَى مَهْرَهَا   شَرَفٌ فَلَيـــسَ غَلاَؤُهُ بِغَلاَءِ

أَيُضَنُّ عَنَهـا بِالنَّفِيسِ وَدُونَهـا   يَهَبُ الحُمـاةُ نُفُوسَهَمْ بِسَخَاءِ ؟

❁

تِلـكَ القَوَافِى الـشَّارِدَاتُ وَهَذِهِ   آثَارُهَا فِى أَنــفُسِ الـقُرَّاءِ

---

(١) الأقذاء : الشوائب .

(٢) الإزراء : العيب والتنقص .

«شَوقِي» إخَالُكَ لَم تَقُلْهَا لاَهياً ... بِالـنَّظمِ أو مُتَبَاهِيـــاً بـذَكَاءِ

حُبُّ الحِمَى أَمْلَى عَلَيكَ ضُرُوبَهَا ... مــتَأَنِّقــاً مَا شَاءَ فِي الإمْلاءِ

أَعْظِمْ بِآيَـاتِ الهَوَى إذْ يَرتـقـى ... مُتَجــرِّداً كَالجَوهَرِ الـوضَّاءِ

فَيُطَهِّرُ الـــوِجْدَانَ مِن أَدرَانِهِ ... وَيَزِيـنُهُ بِسَوَاطِعِ الأَضـــوَاءِ

وَيُعِيـدُ وَجْهَ الغَيْبِ غَيْرَ مُحَجَّبٍ ... وَيَرُدُّ خَافِيَـــةً بِغَيــرِ خَفَاءِ

أَرسَلتَهـا كَلِمـاً بَعيـدَاتِ المَدَى ... تَرْمِي مَرَامِـــيَهَا بِلاَ إِخْطَاءِ

بَيْنَا بَدَتْ وَهْيَ الرُّجُومُ إذِ اغتَدَتْ ... وَهْيَ الـــنُّجُومُ خَوَالِدَ اللأْلاَءِ

مَلأَتْ قُلُوبَ الهـــائِبِينَ شَجَاعَةً ... وَهَدَتْ بِصـائِرَ خَابِطِي العَشْوَاءِ

❁

مِنْ ذلكَ الرُّوحِ الكَبِيــرِ وَمَا بِهِ ... يَزْدَانُ نَظْمُكَ مِن سَنًى وَسَنَاءِ

أَعْدِدْ لِقَومِكَ وَالزَّمَانُ مُهَــادِنٌ ... مَا يَرتَقُونَ بِهِ ذُرَى الــعَلْــيَاءِ

أَليَومَ يَوْمُكَ إنَّ «مِصرَ» تَقَدَّمَتْ ... لِمَآلِهَـــا بِكَرَامَـــةٍ وَإبَـــاءِ

٣٤ حكاية وردة

كتبها الشاعر فى طرس جعله كفناً لوردة ذبلت عنده ، وهى هدية من آنسة .. ووضع تلك البقية من الوردة فى وعاء من أوعية الزينة البيتية ، مورق ، مزهر ، هو أشبه بالمهد منه باللحد .

هَذِى حِكَايَةُ وَرْدَةٍ تَحْلَى بِسِيرَتِهَا السِّيَرْ
شَغَلَتْ مَكَاناً مِنْ حَيَا تِى لَمْ يَزَلْ عَبِقَ الأَثَرْ

❁

فِى ذَلِكَ الزَّمَنِ الَّذِى هُوَ أَمسُ لاَ عَهْدٌ عَهِيدْ
لَكِنْ أَشَرْتُ بِبُعْدِهِ إِذْ كُلُّ مُنْصَرِمٍ بَعِيدْ
ظَفِرَتْ يَدَاى بِهَا وَكَا نَتْ تُحْفَةً بَيْنَ الزَّهَرْ
مِنْ فَاخِرِ الْوَرْدِ الَّذِى يَسْبِى بِرَوعَتِهِ الْفِكَرْ

مَمْشُوقَـــةٌ أَوْرَاقُهَــــا مَضْمُومَةٌ ضَـــمَّ الـــشَّفَهْ

تَشْـــفِى بِبَهْجَتِهَــا أُوَا مَ الْمُقْلَـــــةِ الْمُتَرَشِّفَهْ[1]

عَـــذْرَاءُ جَـــادَتْ لِى بِهَــا عَـــذْرَاءُ مِنْ أَخَوَاتِهَــــا

حكَتِ الـــــلِّدَاتِ بِحِنْسِهَا وَتَفَــــرَّدَتْ فِـــى ذَاتِهَـــا

فَحَفِظْتُهَا حِفْـــظَ الْحَـــرِ يـــــصِ عِنَايَةً وَتَعَهُّدَا

وَمَنَحْتُهَا حَـــظَّ الْخَصِـــــيـــصِ رِعَايَـــةً وَتَوَدُّدَا

أَحْلَلْتُهَـــــا مُسْتَبْشِراً خَيْرَ الْمَوَاضِـــعِ فِـــى الْحِمَى

وَظَلَلْتُ أَيَّامًا أُجَــــا وِرُ نَفْحَــــةً وَتَبَسُّمَـــــا

حَتَّـــى إِذَا مَــــا آذَنَ الْـ ـــقَدَرُ الْمُتَـــاحُ بِبُعْدِهَــــا

زَادَ الـــشَّجَى فِـــى الـــنَّفْـ ـسِ رُزْئِـــــى مَرَّتَيْنِ بِفَقْدِهَا

فِى الْبِـــدْءِ مَاتَ بِهَـــا الْجَمَـا لُ وَعُمْرُهُ أَبَداً قَصِيـــــــرْ

لَكِـــنْ أَقَـــامَ عَبِـــــيرُهَا فَجَعَلْــتُ سَلْوَاىَ الْعَبِيـــرْ

❁

---

(١) الأوام : العطش .

هَذِى عَرُووسُ الْوَرْدِ أَمْسَـ ـــــــــتْ بَزْرَةً أَوْ شِبْهَ ذَاكْ

جِسْمٍ أَلَمَّ بِهِ الـــــــرَّدَى فَأَجَفَّهُ وَالـــــــرُّوحُ ذَاكْ[1]

صَيَّرْتُ حَبِيـــبى مِنْ شَمَـــا لِ الـــصَّدْرِ مَوْطِنَهَا الأَمـــينْ

وَلَبِثْتُ آنَـــــا بَعْـــــدَ آ نِ أُنْشِقُ الْعـــطْرَ الـــكَمِينْ

طِيـــــــبٌ أُحِسُّ بِشَمِّهِ مَا ظَلَّ فـــيـــهَا مِنْ رَمَقْ

وَعَلَى تَوَالِـــى نَقْصِـــــه مِنْهَا يَزِيـــدُ بِىَ الــفَرَقْ[2]

أَخْشَى وَأَحْزَنُ كُلَّمَا مَرَّتْ سُوَيْـعَاتُ الــوِصَالْ

وَأَوَدُّ لَـــوْ بِجِوَارِهَـــــا لِلْقَلْبِ مُدَّتُهَـــا تُطَـــالْ

لَكِنْ مَتَـــى حُـــمَّ الْقَضَـــا ءُ فَلَيْسَ يَدْفَعُهُ الْحَذَرْ[3]

مَـــاذَا يَرُدُّ عَلَيْـــكَ فَـــرْ طُ الْحِـــرْصِ وَالْجَارِى قَدَرْ

أَصْبَحْتُ يَوْمًـــا وَهْـــىَ قَدْ جَـادَتْ بِفَـــضْلَةِ عِطْرِهَا

وَبَـــدَا عَلَـــيْهَا أَنَّهَـــا فَاضَتْ بَقِـــيَّةُ عُمْرِهَـــا

---

(١) ذاك : فائح العطر .

(٢) الفرق : الخوف .

(٣) حم : نزل .

فَاستَوحَشَتْ نَفْسِـى وَكُنْـ ـتُ بِجَارَتِى مُسْتَـأْنِسَا

وَأَسَـيْـتُ أَقْصَـى مَا تُجِـزُ طَبَائِـعُ الـزَّهْـرِ الأَسَـى

لاَ تَقْبَلُ الأَزْهَارُ أَنْ تُبْكَى وَغَايَـتُهَا الـفِدَى

هِىَ لِلْبَشَائـِرِ فِى الْحَيَا ةِ وَلِلْمَرَاحِمِ فِـى الـرَّدَى

لَكِنْ ضَنَنْتُ بِوَرْدَتِـى عَنْ أَنْ تُرَدَّ إِلَـى الـثَّرَى

آثَرْتُهَا لِـى دُونَـهُ وَحَرِىٌّ بِهَا أَنْ تُؤثَـرَا

تِلْكَ الَّتِـى بِحَيَاتِهَـا مَلأَتْ عُيُـونَ الْمُعْجَبِينْ

عَادَتْ عَقِيـبَ مَمَاتِهَا هَنَةً لَـهَا شَبَهُ الْجَنِـينْ

شَبَهٌ صَنَعْتُ بِوَحْيِـهِ لَحْداً حَكَـى الْمَهْدَ الْجَمِيـلْ

مَا الْمَهْدُ إِلاَّ الـلَّحْدُ فِـى حَدَّيْنِ بَيْنَهُمَا سَبِيـلْ

شَاكَلْتُ بَيْنَهُمَـا وَمَـا قَصْدِى مُـشَـاكَلَة الـصِّفَـهْ

لَكِنْ يُعَانُ الْقَلْـبُ أَحْيَا نـاً بِبَعْـضِ الْفَلْسَفَهْ

أَلْمَـهْدُ رَمْزُ الْعَـوْدِ أَوْ رَمْزُ الْوُجُـودِ مُجَـدَّدَا

وَالْعَوْدُ فِـى الأَحْيَـاءِ لَيْـ سَ يَكُـونُ إِلاَّ مَوْلِـدَا

فَلِمَعْنَيَيْنِ كِلَاهُمَا فِيـــــهِ رَجَاءٌ أَوْ عَزَاءْ
هَيَّأْتُ ذَاكَ الْمَهْدَ مَوْ فُورَ الْمَحَاسِنِ مَا أَشَاءْ
أَرْجُو بِهِ التَّبْشِيـــرَ إِنْ كَانَ الـــتَّجَدُّدُ يُؤْمَلُ
أَوْ أَبْتَغِـــى الـــتَّذَكُّـــرَ وَالـــذِّكْـــرَى نُشُـــورٌ أَوَّلُ

❁

أَلـــنَّفْـــسُ أُمٌّ كَالـــطَّبِيـــعَةِ لَيْـــسَ تَفْتَأُ تَخْلُـــقُ[1]
وَتُعِيـــدُ فِي رَسْمٍ جَدِ يـــدٍ كُلَّ شَيْءٍ يُخْلَقُ
فَبِالابْتِكَـــارِ تَصُـــوغُ مَا يَهْـــدِى إِلَيْـــهِ وَحْيُـــا
وَبِـالادِّكَـارِ تَـرُدُّ أَشْبَـــاحـــاً شَجَاهَـــا نَأْيُهَـــا
مَا أَعْجَـــبَ الـــذِّكْرَى وَأَشْـــفَاهَـــا لِتَبْرِيـــحِ الْجَـــوَى
نُورٌ بِهِ تَجْلُـــو الـــنُّهَى مَا حَجَّبَتْ عَنْهَـــا الـــنَّوَى
وَلِوَرْدَتِي مَـــا دُمْـــتُ حَيًّـــا بَعْثَـــةٌ فِـــى خَاطِـــرِى
وَبِـــهِ يُقَبِّلُهَـــا فَمِـــى وَبِـــهِ يَرَاهَـــا نَاظِـــرِى

---

(١) تخلق : تجدد خلقا .

فَـــإذَا جَـــرَى أنِّـــى نَسِيــتُ وَرُبَّمَـــا نَسِـــىَ الْفَطِـــنْ

فَالَمْهْـــدُ يَمْنَـــحُ يَقْظَـــةً طَـرْفَ الضَّمِيـــرِ إذَا وَسِـنْ[1]

مَهْدٌ بِشكْلِ خَمِيـــــلَةٍ غَنَّاء حَانِيَةِ الــــــغُصُونْ

أَنْزَلْتُهَـــا مِـــنْ قَلْبِـــهِ فِى مَنْزِلِ الــــسِّرِّ المَصُونْ

فِى كُلِّ يَـــوْمٍ حَـــوْلَ ذَا كَ المَهْـــدِ أَسْـــرَابُ المُنَى

وَطَوَائِفُ الـفِكَرِ الســـوَّا نِحِ فِـــى تَلاَمِيـــعِ الـــسَّنَى

مَا بَيْـــنَ مُمْسِيـــــةٍ تُرَفْـ ـــرِفُ حَـــوْلَهُ أَوْ مُصْبِحَهْ

شِبْهَ الْفَرَاشِ تَخـــالُهَا زَهَراً يَطِيـــرُ بِأَجْنِحَــهْ

يَعْــــقِدْنَ رُؤْيَـا لِلَّتِى مَاتَتْ فَتَحْسَـــبُ حَالِمَــــهْ

وَعَلَـــى رَقِـــيقِ الـشَّدْوِ يُو قِظْـنَ العَرُوسَ الـنَّائِمَـــهْ

فَتَعُـــودُ تِلْـــكَ الْـــوَرْدَةُ الـ ـــزَّهْرَاءُ زَاهِيَـــةَ الْـــوَرَقْ

مِـلْءَ الضَّمِيـــرِ بِحُسْنِهَا وَكَأَنَّهَـــا مِـلْءَ الْحَـــدَقْ

لاَ تَبْعَـــدِى أَىْ وَرْدَتِـــى مَا غَـــابَ إلاَّ مَـــنْ سَـــلاَ

---

(١) وسن اغفى .

لله مَـــا أَحْلَـــى الْفُـــؤَا دَ إِذَا مِنَ الـــذِّكْرَى خَـــلاَ

مَا مَـــاتَ مَـــنْ لِمُحِبِّـــهِ قَلْبٌ وَفِـــــــــىٌّ يُنْشِرُهْ

أَلْقَلْبُ يَطْـوِى الْغَيْـــبَ فِـــى أَثَرِ الْحَبِيـــبِ فَيُحْضِـــرُهْ

تَاللهِ إِنَّكِ مَـــا مَكَثْـــتِ عَنِ الْحَيَـــاةِ مُغَيَّبَـــهْ

لَنَضِيــــــــرَةٌ فِي مُقْلَـــتَىَّ وَفِى فُـــؤَادِى طَيِّبَـــهْ

يَارَبَّةَ الـــشِّيَمِ الـــنَّبِيـــلَةِ هكَـــذَا نُبْلُ الـــعَطَاءْ

كُـــلُّ الأَزَاهِـــرِ لِلَّتِـــى هِـىَ مِنْـكِ فَلْتَكُـــنِ الـفِدَاءْ

فَـــازَتْ بِبَعْـــضِ الْقُـــرْبِ مِنْـــكِ وَذَاكَ عِزٌّ لاَ يُـــرَامْ

فَلِـــذَاكَ أَمْسَـــتْ فِـــى الْوُرُو دِ وَقَدْ أُقِـــيمَ لَهـــا مَقَامْ

أَدَّتْ أَمَـــانَتَهـــــــا أَدَا ءَ الْحَـــقِّ فِـــى دَارِ الـــشَّقَاءْ

وَإِلَيْـــكِ أَهْـــدَتْ عُمْرَهَـــا بِمَمَاتِهَـــا فَلَكِ الـــبَقَـــاءْ

٣٥ النــوارة

أو

زهرة المرغريت

ألف الأغرار من العشــاق أن ينثروا أوراق هذه الزهرة واحدة بمعنى «نعم» والتالية بمعنى «لا» بقصد أن يتــبينوا فى نهاية العدد أتحبهم التى يعشقونها أم لا تحبهم.. فقال الشاعر فى ذلك وقد كبر سنًا:

أُراجِعُ نَفسى هَل أَنا ذَلِكَ الذِى عَهِدْتُ بِأَمسِى أَم أَنا رَجُلٌ ثَانِ ؟

عَلِمتُ صُنُوفَ العِلْمِ دَرسًا وَخِبْرَةً فَمَالِى بَلَغْتُ الجَهلَ فِى مُنْتَهَى شَانِى ؟

أَرَانِى بَعدَ الشَّيْبِ عَاوَدَنِى الهَوَى فَرَدَّ صِبَى الدُّنيَا عَلَّى وَأَصْبَانِى

غَدَوْتُ كَأَنِّى مَا عَرفتُ حَقِيقَةً وَهَل أَنا إِنْ يَدْعُ الهَوَى غَيْرُ إِنسَانِ؟

فَيَالِىَ مِن كَهْلٍ يُرَى وَهْوَ جَاثِمٌ كَطِفلٍ عَلَى شَىْءٍ يُقَلِّبُهُ حَانِ

بِكَفِّى مِنَ النُّوَّارِ ذَاتُ أَشِعَّةٍ لهَا قُرْصُ شَمسٍ زَانَهُ تاجُ أَلوانِ

فَبَينَا أُجِيلُ الطَّرْفَ فِي قَسِماتِهَا وَثَمَّ فُنُونٌ مِن جَمَالٍ وَإتْقَانِ

إذَا أَنَا لِلتَّاجِ المُنَظَّمِ نَاثِرٌ تِبَاعًا ولِي فِي ذَاكَ تَرْدِيدُ صِبْيَانِ

أُسَائِلُ أَوراقاً -وَيالَيتَ شِعْرَهَا- أَتَهَوانِيَ الحَسنَاءُ أَم لَيسَ تَهْوانِي؟

٣٦ فى الغـــابة

صورة خياليــة يتنقل فى غابة مرتفعة باحثاً عن زهرة غـير موجودة

مَا بَالُهُ مَـــا أَصَابَـــهْ ؟ مَا سُــؤْلُهُ فِـى الـغَابَهْ ؟

هَبَّ الــغَدَاةَ وَوَالَـــى إِلـى الـزَّوَالِ اضْطِرابَــهْ

تَهْفُـــو الـــغُصُونُ إِلَيْهِ أَوْ تَنْثَنِــــى تَوَّابَــــهْ

آنًا يـــــــبِينُ وآنًا يَخْفَـــى وراءَ غَيَابَـــهْ

أَنَّى تَنَقَّـــلَ يَمْشِــــى فِـــى زِيـــنَةٍ وَغَرَابَـــهْ

مُوَشَّحــــــاً بِشُعَاعٍ أَوْ مُسْـــتَقِلاً سَـــحَابَهْ

أَوْ خَائِضــــاً بَحْرَ فَىْءٍ يَشُــقُّ شَـــقًّا عُبَابَـــهْ

تَفِـــــرُّ بَيْنَ يَدَيْــهِ أَهِـــلَّةٌ لَعَّابَـــــهْ

أَوْ عَابِراً بِخُطَــــــــاهُ مَجَــــرَّةً مُنْسَـــــابَهْ[1]

مِـــنَ الْوُرَيْقَاتِ تَجْـرِى بِهَـــا الـــصَّبَا الْوَثَّابَهْ

حَتَّى إذَا الـــشَّمْسُ مَالَتْ بَيْنَ الأَسَى وَالــــدُّعَابَهْ

تُلْقِى وَدَاعــاً بَهِيــجــاً وَالـظِّلُّ يُلْقِى كَـــــآبَهْ

أَجْــرَتْ عَلَـــى مَنْكِبَيْهِ حُلَى نُضَـــارٍ مُذَابَـــــهْ

فَلاَحَ كَالـــــطَّيْفِ لَوْلاَ هَزُّ الــــنَّسِيــمِ ثـــيَابَهْ

مَـــاذَا تَوَخَّيْـتَ يـا مَـــنْ أَضْـوَى الـعَنَاءُ إهَـابَــهْ؟

مِـــنْ كُـــلِّ ذَاتِ غِرَاسٍ وَكُـــــلِّ ذَاتِ عَشَابَهْ[2]

فَكَـــــانَ مَا رُمْتَ سُؤْلاً عَــزَّتْ إلَيْــهِ الإجَـابَهْ

أَرَدْتُ فِى الــزَّهْرِ بِكْـــراً فَتَّانَـــــــةً خَــــــلاَّبَهْ

عَـــنْ كُـــلِّ بِنْتِ رَبِيــعٍ بِحُسْــــــنِهَا تَتَبَابَــــــهْ

بَرَّاقَــــةٍ عَـــن ذَكَــــاءٍ ضَحَّاكَــــــةٍ عَنْ نَجَابَهْ

فَوَّاحَــةٍ عَـــنْ خِــلاَلٍ ذَكِيَّـــــةٍ مُسْــــتَطَابَهْ

(١) المجرة : منطقة فى السماء كثيرة النجوم ترى كأنها بقعة بيضاء .

(٢) عشابة ، مصدر عشب المكان : نبت عشبه .

نَقِيَّةٌ لَمْ تُطَالَعْ   بِأَعْيُنٍ مُرْتَابَهْ

لِلْمُجْتَلِي هِيَ رَوْضٌ   وَلِلشَّجِيِّ صَحَابَهْ

أُنِيبُهَا فِي وَفَاءٍ   عَنِّي أَعَزَّ إِنَابَهْ

لَدَى أَمِيرَةِ فَضْلٍ   مَصُونَةٍ وَهَّابَهْ

بِهَا جَمَالٌ وَنُبْلٌ   إِلَى عُلًى وَمَهَابَهْ

مَقَامُهَا لاَ يُسَامَى   كَرَامَةً وَحَسَابَهْ

أَسْدَتْ إِلَيَّ جَمِيلاً   وَمَا قَضَيْتُ نِصَابَهُ

فَظَلْتُ فِي الزَّهْرِ أَبْغِي   تِلْكَ الَّتِي لاَ تُشَابَهْ

حَتَّى إِذَا طَالَ كَدِّي   وَلَمْ أَفُزْ بِالطِّلاَبَهْ

نَظَمْتُهَا مِنْ خَيَالٍ   وَصُغْتُهَا بِالْكِتَابَهْ

عَلَّ الْهَدِيَّةَ رَسْماً   تُثِيبُ بَعْضَ الإِثَابَهْ

٣٧ الفـــداء

أنشدت فى حفل أقـيم لتحية أرواح الشهداء المصـريين فى الحركة الوطنية ولتحـية الذين أفرج عنهم من السجـون بعد العناء الطويل

إلى أرواح الشهداء

تَحِيَّةٌ أَيهَا الـقَتْلَى وتَسليـــــمَا ... بَلَغـتُمُ الشَّأْوَ تَخلِيـداً وتَعظِيـمَا

لاَ يَعْبُدُ المَرءُ ربًا لاَ وَلاَ وَطَنـــاً ... بِمِثْـلِ إِغلاَئِه القُربَانَ تَقـــدِيمَا

قُلتُمْ وَصَدَّقَ مَا قُلـتُمْ تَحَمُّلُكُمْ ... أَذى يَرُدُّ فِرنْدَ الصَّبـــرِ مَثْلُومَا[1]

مَا المَوتُ إِن كَانَ إِنقَاذُ البِلاَدِ بِهِ ... مِن غَاصِبٍ وَانتِـصَافُ الشَّعبِ مَظلُومَا

يُحَطِّمُ العَظْمُ مِنكم دُونَ بُغيَتِكُمْ ... فَتَصـبِرُونَ وَيَأْبَى العَزمُ تَحطِيـمَا

برًا «بِمِصـرَ» وَخَوفاً أَن يُسَلِّمَهَا ... إِلَى العِدَى وَاهِنُو الإِيمَانِ تَسلِيمَا

---

(١) الفرند : حد السيف .

لَيسَ الشَّهَادَةُ إِلا مَنْ يمُوتُ عَلَى ... حَقٍ وَمَن لايبالِى فِيهِ مَا سِيما[1]

إِمضُوا رِفَاقاً كِرَاماً حَسْبُكُمْ عِوَضاً ... مَجْدٌ عَزِيز عَلَى الخطاب إِن رِيمَا[2]

لِلْمُشْتَرِى بِصِبَاهُ عِزَّ أُمَّتِهِ ... ذِكْرٌ يَدِيمُ اسمَهُ بِالتِّبْرِ مَرقُومَا

وَلِلَّتِى استَبدَلَتْ بِالقَبرِ مَرتَعهَا ... قِسطٌ مِنَ الفَخرِ فَوقَ العُمرِ تَقوِيمَا

لاَ تَحسَبُوا مِصرَ تَنسَاكُمْ فَكُلُّكُموا ... يَبقَى عَلَى الدَّهرِ مَرؤُومًا وَمَرحُومَا[3]

وَفِى المَرَابِعِ مِن أَرواحِكُمْ نَسَمٌ ... تَظَلُّ تَأْتِى بِهَا الأَروَاحُ تَنسِيمَا[4]

تحية للذين أطلقوا من الاعتقال

يَا خَارِجِينَ كِرَاماً مِن مَحَابِسِهِم ... وَمُبْهِجِى كُلِّ قَلبٍ كَانَ مَغمُومَا

كَم كُبِّلَ الحَقُّ بِالأَصفَادِ مِن قِدَمٍ ... ثُمَّ انطَوَيْنَ وَبَاءَ البُطْلُ مَهزُومَا

يَاسُوءَ دَهرٍ قَضَتْهُ قَبلَ نَهضَتِهَا ... «مِصرٌ» يُخَيِّمُ فِيهَا الذُّلُّ تَخيِيمَا

تَهِى قُوَى اللَّيْثِ مِن عَيْثِ الذِّئَابِ بِهَا ... وَيَلْتَوِى الأَمرُ تَحلِيلاً وَتَحرِيمَا

---

(١) سيم : كُلِّفَ .

(٢) ريم : طُلِبَ .

(٣) مرؤوم : معطوف عليه .

(٤) المرابع : المنازل . نسم : جمع نسمة ، وهى هنا : الريح اللينة الخفيفة

فَالـــــيَومَ عَادَ إِلَى رَأْيٍ يُشَرِّفُهَا مَنْ ظَنَّ إِقْلِيـمَهَا لِلخَفْضِ إِقـلِيـمَا[1]

دَلَّتْ عَلَى قُوَّةٍ فِيــهَا صَلاَبَتُكُمْ تَذُودُ عَنهَا الأَشِدَّاءَ المَقَاحِيـمَا[2]

هَل يُجْزِئُ الـــشُّكْرُ مِن ضَيْمٍ تَحَمَّلَهُ بالأَمسِ مَن مِنكُمُو فِى رَأْيِهِ ضِيـمَا[3]

قَد أَثَّمُوكُمَ وكَمْ مِن مُثْلَةٍ نَزَلَتْ بِالأَبرِيَاءِ وَبِالأَبْرَارِ تَأْثِيــــمَا[4]

وَبَعضُ مَاعَاقَبُوكُمْ فِيهِ جَعْلُكُمُو صِدقَ الهَوَى لِلْحِمَى دِينـاً وَتَعلِيــمَا

لأَحَاكِمـــــاً دُونَ مَا أَوحَتْ ضَمَائِرُكُمْ تُرَاقِبُونَ وَلاَ تَرعَوْنَ مَحـــكُومَا

❁

لَقَد ظَفِرتُم بِمَا أَدنَى القَصِيَّ لَكُم مِنَ المَرَامِ فَلَيسَ الـفَوْزُ مَزْعُومَا

هَلِ اسْتَقَامَ زَمَانٌ لاَ يُقَوِّمُهُ بَنُوهُ بِالصَّبـرِ وَالإِقدَامِ تَقـوِيمَا ؟

أَو نَالَ حُرِّيَّةً قَومٌ بــــهَا جَدُرُوا وَهُمْ يُبَالُونَ تَقتِيلاً وَتَكْلِيماً ؟[5]

❁

(١) الخفض (هنا) : مصدر خفضه : أنزله وحطه وهوى به .

(٢) المقاحيم ، جمع مقحام : وهو الشجاع يقتحم ولا يهاب .

(٣) ضيم : أنزل به الظلم .

(٤) أثموكم : وجدوكم على إثم . المثلة : التعذيب والتنكيل .

(٥) تكليما : تجريحا .

يَا سَادَةً خَاســنُّجُومِ اســغُرٌّ مَنـزِسَةً   وَسَيِّدَاتٍ خَعِقْدِ اســدُّرِّ مَنــظُومَا

حَمْداً لإِقْبَـاسِكُمْ هَذَا وَحَفْلَتِكُمْ   تُهَنِّئُونَ اســصَّنَادِيــدَ المَقَادِيمَا[1]

مِنَ الأُولَى مَاوَنَوْا عَن وَاجِبٍ فَبَنَوْا   لِعِزِّ «مِصــرَ» طِرافــاً كَانَ مَهــدُومَا[2]

أَوسَئَكُمْ إِنْ بَدَا مِن فَضـلِهِمْ أَثَرٌ   فَكَم سَهُم مِن جَمِيلٍ ظَلَّ مكتُومَا

فَلْتَحْى «مِصــرُ» وَأَبرَارٌ نُجِلُّهُمُو   وَنَحتَفِى بِهِمُ حُبًّا وَتَكــــــرِيمَا

---

(١) اسصناديد : اسشجعان . المقاديم : جمع مقدام أى الجرئ .

(٢) اسطراف : اسبيت .

٣٨ غصـــن

من زهر المشمش

قدمه الشاعر لوالدته وهى مريضة

جَاءَتْـكِ يَـا أُمَيْمَتِـى بُشْرَى الشِّفَاءِ فَانْظُرِى

مَاذا تَقُوسِـينَ بِهَـذَا الغُصْنِ المُنَوِّرِ ؟

أَلْمَاسِيَّ النَّفْسِ بِرَيَّاهُ السَّخِيِّ العَطِرِ

أَسَذَاهِبِ الأَفْرُعِ خُلُّ مَذْهَبٍ مُحَيِّرِ

فِى خُلِّ فَرْعٍ زِينَةٌ مِنْ نَاصِعَاتِ الزَّهَرِ

يَمْلأُ خُلَّ جَانِبٍ مِنْهُ ضَحُوكُ الشَّرَرِ

وَفِيهِ مَا يَبْهَرُ مِنْ قَطْرِ النَّدَى المُسْتَعِرِ

كـــــــــأَنَّهُ قَدْ عَلقَتْ بِهِ . صِغَارُ الـــــزُّهُرِ[1]

هُوَ الـــــرَّبِيـــعُ عَائِداً بِحُسْـــــنِهِ الْمُزْدَهِـــــرِ

أَجْمَلُ مَا يُرَى كَبِــــــيـــرُ الْحُسْنِ فِى مُصَغَّرِ

وَفَـــوْقَ مَـــا يَبْلُغُـــهُ تَصَـــوُّرُ الْمُصَـــوِّرِ

يَنْقَـــعُ غُلَّةَ الـــنُّفُو سِ بِالـرَّفِيـفِ الْخَصِرِ[2]

قَدْ مَلا الْغُرْفَـــةَ بَهـــــجَةً وَحُسـنَ مَنْظَـــرِ

وَقَدْ نَفَـى بِصَفْـوِهِ الـلَّــــــمَّاحِ كُـــلَّ كَـــدَرِ

فَاسْتَقْبِلِى الـــصِّحَةَ فِى لِقَـــائِـــهِ وَاسْتَبْشِرِى

---

(١) الزهر : النجوم .

(٢) الرفيف : حركة الماء . الخصر : البارد .

٣٩ بنفسجة فى عروة

ألف الشاعر فى ذلك العام أن يضع زهرة بنفسج فى العروة التى تعلو الجيب الأيسر من ردائه . وسر ذلك أنه كان يحب سيدة تحب البنفسج ولا يبوح لها بأمره إلا على هذه الصورة

جَعَلْتُ فِى عُرْوَتِى بَنَفْسَجَةً   تَزِينُ صَدرِى وَنِعْمَتِ الزِّينَهْ

هَلْ فِى ذَوَاتِ الجمَالِ أَكْمَلُ مِنْ   مَلِيكَةٍ فِى اتِّضَاعِ مِسْكِينَهْ ؟

شِنْشِنَةٌ قَد تَخِذْتُهَا لِىَ فِى   عَامِى وَقَصْدِى عَنِ العَذُولِ خَفِى[1]

أَشْبَهُ شَىْءٍ بِطَبْعِ مَالِكَتِى   أَضْحَى شِعَاراً لِعَبْدِهَا الدَّنِفِ

فَيَالَهَا عُرْوَةً وَقَد جُلِيَتْ   كَالعَيْنِ فَوقَ الفُؤَادِ تَسْتَعْلِى

مَا بَيْنَ جَفْنَيْنِ شُقَّ هُدْبُهُمَا   عَن كَحَلٍ فِيهِ زُرْقَهُ الكُحْلِ

---

(١) شنشنة : عادة .

زُهَيْرَةٌ كُلُّ مَنْ يُلاحِظُهَـــا تَرُوعُهُ بِـالـزُّهُورِ وَالـلُّطْفِ[1]

يُشْعِرُكَ الـطَّرْفُ وَهْيَ قَاصِيَةٌ بِطِيبِ مَا خَبَّأَتْ مِنَ الـعَرْفِ[2]

رَاوَدَنِي الـطِّفْلُ حِينَ أَبْصَرَهَا عَنْهَا بِمَا لِلـصِّغَارِ مِنْ حِيَلِ

مُطَوِّقًا فِي الْتِمَاسِهَا عُنُقِي وَسَامِحًا مَا أَشَاءُ بِالْقُبَلِ

فَاسْتَلَّهَا مِنْ مَكَانِهَا وَأَنَا أَدْفَعُهُ دَفْعَ مَنْ يُرَغِّبُهُ

كَمْ مِنْ حَبِيبٍ، وَأَنْتَ تُبْعِدُهُ، تَصُدُّهُ صَدَّ مَنْ يُقَرِّبُهُ

مِن ذَلِكَ الطِّفْلُ؟ صُورَةٌ بَلَغَتْ بِهَا الْعِنَايَاتُ غَايَةَ الْحُسْنِ

فَظُنَّ مَا حُسْنُ أُمِّهِ وَلَقَدْ أَقُولُ بَالِغْ مَا شِئْتَ بِالظَّنِّ

أَعْطَيْتُهُ زَهْرَتِي فَقَبَّلَهَا هُنَيْهَةً مُحْسِنًا سِيَاسَتَهُ

حَتَّى إِذَا مَا قَضَى لُبَانَتَهُ وَكَادَ يُبْدِي لَهَا شَرَاسَتَهُ

تَوَثَّبَتْ أُمُّهُ ، وَقَدْ لَمَحَتْ مَا كَانَ مِنْهُ ، خَفِيفَةَ الْقَدَمِ

وَارْتَجَعَتْهَا مِنْهُ مُبَالِغَةً لَدَيْهِ بِالتَّرْضِيَاتِ فِي الْكَلِمِ

فَرَوَّتِ الْعَيْنَ مِنْ مَحَاسِنِهَا وَانْتَشَقَتْ عِطْرَهَا عَلَى مَهَلِ

---

(١) الزهور : الإشراق .

(٢) العرف : الرائحة الزكية .

ثـــمَّ أَعَادَتْ إلـــىَّ ضَائِعَتِى مُوَرَّدًا وَجْهُهَا مِنَ الخَجَلِ

أَأَصْلَحَتْ مِنْ وكيـــدهَا خَطَأً وَلَيْسَ فِعْلُ الْوَلِيـــدِ بِالنُّكْرِ ؟

أَمْ أَدْرَكَتْ مَا أُكِنُّ مِنْ شَغَـــفٍ بِهَا ، فَبَاحَتْ بِأَنَّهَا تَدْرِى ؟

أَمْ سَأَلَتْ جَارَةَ الْفُؤَادِ لِتَسْـ ـتَطْلِعَ مِنْهَا صَحِيحَ أَخْبَارِى ؟

وَلَيْسَ فِى الْمُنْبِئِينَ أَصْدَقُ مِنْ جَارٍ بِأَنْبَائِهِ عَنِ الجَارِ

أَمْ شَكَرَتْ لِى ، عَلَى تَظَاهُرِهَا بِجَهْلِ وَجْدِى، صَبْرِى عَلَى وَجْدِى؟

أَمْ أَشْعَرَتْنِى ، يَالُطْفَ مَا فَعَلَتْ، بِأَنَّ مَا عِنْدَهَا كَمَـــا عِنْدِى ؟

٤٠ قـــران

الصديق الكريم الدكتور لويس عوض بك(*)

مَكَانُكَ يَا «لُويسُ» نُهىً وَعِلْمـاً ... مكَانٌ غَيْرُ مَجْهُولٍ «بِمـــصْرِ»

بِجِدِّكَ لاَ بِجَدِّكَ وَهْوَ عَالٍ ... نَبَغْتَ وَقَدْ بَلَغْتَ أَجَلَّ قَدْرِ

تُدَاوِى الـــدَّاءَ مَهْمَا يَعْصِ طِبًّا ... فَلاَ يَعْصِيـــكَ فِى نَهْيٍ وَأَمْرِ

وَلَسْتَ مُبَالِيــاً أَجْراً وَلكِنْ ... تَعُودُ مُزَوَّداً أَبَداً بِشُكْرِ

لِيَهْنِئْكَ الْقِرَانُ بِذَاتِ نُبْلٍ ... مِنَ الْغِيــدِ الصِّبَاحِ وَذَاتِ طُهْرِ

أَعَزَّ اللهُ «مَرْيَمَ» مِنْ عَرُوسٍ ... هِىَ الْحُسْنُ انْجَلَى فِى شَمْسِ خِدْرِ

سَعِدْتَ بِهَا كَمَا سَعِدَتْ فَطِيبَا ... وَعِيـــشَا بِالـرِّفَاءِ مَدِيدَ عُمْرِ[1]

(*) وهو غير الكاتب المشهور.

(١) الرفاء : الوفاق .

٤١ عتـــب

اللغة العربية على أهلها

وقد آثروا عليها اللغـــات الأخـــرى

إنها تستجير بالدكتور طه حسين بك

سَمِعْتُ بِأُذْنِ قَلْبِى صَوْتَ عَتْبٍ ‏ ‏ لَهُ رَقْرَاقُ دَمْعٍ مُسْتَهَلِّ

تَقُول لأَهْلِهَا الفُصْحَى : أَعَدْلٌ ‏ ‏ بِرَبِّكُمُ اغْتِرَابِى بَيْنَ أَهْلِى ؟

أَلَسْتُ أَنَا الَّتِــى بِدَمِى وَرُوحِى ‏ ‏ غَذَتْ مِنْهُمْ وَأَنْمَتْ كُلَّ طِفْلِ ؟

أَنَا الْعَرَبِيَّةُ الْمَشْهُودُ فَضْلِى ‏ ‏ أَأَغْدُو الْيَومَ، وَالْمَغْمُورُ فَضْلِى ؟

إِذَا مَا الْقَوْمُ بِالـــلُّغَةِ اسْتَخَفُّوا ‏ ‏ فَضَاعَتْ، مَا مَصِيـــرُ الْقَومِ؟ قُلْ لِى

وَمَا دَعْوَى اتِّحَادٍ فِى بِلاَدٍ ‏ ‏ وَمَا دَعْوَى ذِمَارٍ مُسْتَقِلِّ ؟[1]

---

(١) الذمار : ما تجب على الرجل حمايته من دار ووطن .

فَسَادُ الْقَوْلِ فِيـــــهِ دَلِيلُ عَجْزٍ   فَهَلْ مَعَهُ يَكُونُ صَلاَحُ فِعْلِ ؟

بُنَيَّاتِ الْحِمَى أَنْتُنَّ نَسْلـــــي   فَإِنْ تَنْكِرْنَنِي أَتَكُنَّ نَسْلــــي ؟

وَيَا فِتْيَانَهُ إِنْ أَخْطَأْتُنــــــي   مَبَرَّتُكُمْ، فَإِنَّ الـــثُّكْلَ ثُكْلــــي

يُحَارِبُنِي الأُولَى جَحَدُوا جَمِيلي   وَلَمْ تَرْدَعْهُمُ حُرُمَاتُ أَصْلِي

وَفِي الْقُرْآنِ إِعْجَازٌ تَجَلَّتْ   حِلاَىَ بِنُورِهِ أَسْنَى تَجَلٍّ

وَلِلْعُلَمَاءِ وَالأُدَبَاءِ فِيــــــمَا   نَأَتْ غَايَاتُهُ مَهَّدْتُ سُبْلِي

إِذَا مَا كَانَ فِي كَلِمِي صِعَابٌ   فَلاَ تَأْخُذْ كَثِيــــــرِي بِالأَقَلِّ

وَهَلْ لُغَةٌ قَدِيمــاً أَوْ حَدِيثـــــاً   تُعَدُّ بِوَفْرَةِ الْحَسَنَاتِ مِثْلِي ؟

❁

فَيَا أُمَّ اللُّغَاتِ عَدَاكِ مِنَّا   عُقُوقُ مَسَاءَةٍ وَعُقُوقُ جَهْلِ

لَكِ الْعَوْدُ الْحَمِيـدُ فَأَنْتِ شَمْسٌ   وَلَمْ يَحْجُبْ شُعَاعَكَ غَيْرُ ظِلٍّ

دَعَوْتِ فَهَبَّ مِنْ شَتَّى الــنَّوَاحِي   مَيَامِينٌ أُولُو حَزْمٍ وَنُبْلِ

بِرَأْيٍ فِيـــــكِ يَكْفُلُ أَنْ تُرَدِّي   مُكَرَّمَةً إِلـــى أَسْمَى مَحَـــــلِّ

يُنَوِّرُ شِعْرُهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ   وَيُزْهِرُ نَثْرُهُمْ فِي كُـــــلِّ حَقْلِ

وَ «طَهَ» فِى طَلِيــعَةِ مَنْ أَجَابُوا يُهَيِّئُ نَهْضَةً فِى الْمُسْتَهَلِّ
بَمَوْفُورَيْهِ : مِنْ أَدَبٍ وَفَنٍ وَمَذْخُورَيْهِ : مِنْ عَقْلٍ وَنَقْلِ
يَفِيضُ كَمَا يَفِــيضُ النِّيلُ خِصْباً وَيُحـــيِى الحَرْثَ فِى حَزْنٍ وَسَهْلِ[1]
وَيَبْعَثُ فِى شَبَابِ الْعَصْرِ رُوحــاً هُوَ الــرُّوحُ الَّذِى يَبْنِى وَيُعْلــِى
إِذَا مَا جَاوَلَ الْفُرْسَانَ جَلَّى وَخَلَّفَ شُقَّةً دُونَ الْمُصَلِّى[1]
فَكَيْفَ بِهِ إِذَا مَا شَنَّ حَرْبـــاً عَلَى بِدْعِ الــضُّلُولِ أَوِ الْمُضِلِّ ؟

---

(١) الحزن : الأرض الصعبة .

(٢) جلى : سبق وجاء أولاً . المصلى : من يجئ تالياً .

٤٢ في تقدم اللغة العربية

والعيب في الجمود

مَاذَا يُرِيدُ مِنَ الحَقِيقَةِ مُسْقِطٌ تكْلِيفَهَا عَنْ نَفْسِهِ بِتَوَهُّمِ

مَاذَا يُرِيدُ مِنَ المَعَالِي نَائِمٌ وَالنَّجْمُ مُزْدَهِرٌ لِغَيْرِ النُّوَّمِ

لِنَعِشْ مَعَاش زمانِنا ولْنَنْتَهِزْ فُرَصَ النَّجَاحِ نَفُزْ بِهِ أَوْ نَسْلَمِ

لنْ تَرْجِعُ العَرَبِيَّةُ الفُصْحَى إِلَى مَا كَانَ مِنْهَا فِي الزَّمَانِ الأَقْدَمِ

مَا لَمْ يَعُدْ ذَاكَ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ وَالعَادُ وَالأَخْلاَقُ حَتَّى جُرْهُمُ

لِلْجَاهِلِيِّ لِسَانُهُ ، وَمَنِ الَّذِى يَنْفِي مِنَ الفُصْحَى لِسَانَ مُخَضْرَمِ ؟

إِنَّ التَّجَدُّدَ لِلِّسَانِ حَيَاتُهُ وَمَنِ الَّذِى يُحْيِيهِ غَيْرُ المُقْدِمِ ؟

فِي عَصْرِنَا لِلضَّادِ فَتْحٌ بَاهِرٌ زِيدَتْ بِهِ فَخْراً، فَهَلْ مِنْ مَأْثَمِ؟

مَنْ فَرَقَ الأَخَوَيْنَ يَسْتَبِقَانِ مِنْ طُرُقٍ لِرِفْعَتِهَا، أَلَيْسَ بِمُجْرِمِ ؟

٤٣ آفات الضغائن

قَدْ شَتَّتَ الـضَّغَنُ المُفَرِّقُ بَيْنَكُمْ شَمْلاً كـأَمْتَنِ مَا يكُونُ جَمـيعـاً

أَيَضِيـــعُ مَجْدٌ لِلْكِنَانَةِ لَمْ يكُنْ، لَوْلاَ التَّفَرُّقُ بَيْنَكُمْ، لِيَضِيـعَا ؟

وَطَنٌ تَحَلَّلْتُم بِبَخْسٍ بَيْعَهُ، اللهُ فِي وَطَنٍ بِبَخْسٍ بِيـــعَا !

٤٤ مبايعة شوقى

أنشدت فى المهرجان الكبير الذى أقيم فى دار الأوبرا الملكية
تكريماً له فى عام ١٩٢٧

قَبَسٌ بَدَا مِنْ جَانِبِ الـــصَّحْرَاءِ ... هَلْ عَادَ عَهْدُ الْوَحْيِ فِى سِيـــنَاءِ؟(١)

أرنُو إِلى الـطُّورِ الأشَمِّ فَأَجْتَلي ... إِيمَاضَ بَرْقٍ وَاضِحَ الإِيمَاءِ

حَيْثُ الْغَمَامَةُ وَالْكَلـــيمُ مُرَوَّعٌ ... أرْسَتْ وَقُوراً أَيَّمَا إِرْسَاءِ

دَكْنَاءُ مُثْقَلَةُ الْجَوَانِبِ رَهْبَةً ... مَكْظُومَةُ النِّيـــرَانِ فِى الأَحْشَاءِ

حَتَّى تَكَلَّمَ رَبُّهَا فَتَمَزَّقَتْ ... بَيْنَ الـصَّوَاعِبِ فِى سَنًى وَسَنَاءِ

وَتَنَزَّلَتْ أَحْكَامُهُ فِى لَوْحِهَا ... مَكْتُوبــةً آيَاتُهَا بِضــــيـــاءِ

أَتُرَى الْعِنَايَةَ، بَعْدَ لأْيٍ ، هَيَّأَتْ ... لـــلِشَّرْقِ مَنْجَاةً مِنَ الْغَمَّاءِ ؟

---

(١) إشارة إلى تعيين الحكومة شوقى عضواً فى مجلس الشيوخ عن دائرة سيناء .

ألـــشَّاعِرِيَّةُ لاَ تَزَالُ كَعَهْدِهَا ، بَعْدَ الـــنُّبُوَّةِ ، مَهْبِطَ الإِيـــحَاءِ
وَالصَّوْتُ إِنْ تَدْعُ الْحَقِيقَةُ صَوْتُهَا وَالـــنُّورُ نُورُ خَيَالِهَا الْوَضَّاءِ

❁

يَا شَيْخَ «سِيناءَ» الَّتِى بُعِثَ الْهُدَى مِنْ تِـيهِـــهَا فِى آيَةٍ غَرَّاءِ
سَتَرَى وَأَنْتَ مُعَرَّبٌ عَنْ حَقِّهَا كَيْفَ المَـــواتُ يَفُوزُ بِالأَحْيَاءِ
حَسْبُ القَرِيضِ زِرَايَةً فَـــاثأر لَهُ وَارْفَعْ بِنَاءكَ فَوْقَ كُلِّ بِنَاءِ
إِنَّ الـتَّوَاكُلَ وَالتَّخَاذُلَ وَالـقِلَى لأَقَلُّ مَا جَلَبَتْ مِنَ الأَرْزَاءِ
وَتَنَزُّلِ الأَقْوَامِ عَنْ أَخْطَارِهَا وَتَعَسُّفِ الحُكَّامِ وَالـــكُبَرَاءِ
أَبْنَاءُ «يَعْرُبَ» فِى أَسىً مِنْ حِقْبَةٍ شَقِيَتْ بِهَا الآدَابُ جِدَّ شَقَاءِ
جَنَفَ البُغَاةُ بِهَا عَلَى أَهْلِ النُّهَى وَاسْتُعْبِدَ الـــعُلَمَاءُ لِلْجُهَلاَءِ
وَتَخَيَّلَ الـــسَّادَاتُ فِى أَقْوَامِهِمْ شُعَرَاءَهَا ضَرْبـــاً مِنَ الأَجْرَاءِ
وَهُمُ الَّذِيـــنَ تَنَاشَدُوا أَقْوَالَهُمْ لِلْفَخْرِ آوِنَةً وَلِلـــتَّأْسَاءِ
وَبِفَضْلِهِمْ غُذِيَتْ غِرَاثُ عُقُولِهِمْ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ أَلَذَّ غِذَاءِ[1]

---

(١) الغراث : جمع غرثان ، وهو الجائع .

وَبِنَفْحَةٍ مِنْهُمْ غَدَتْ أَسْمَاؤُهُمْ مِنْ خَالِدَاتِ الـذِّكْرِ فِى الأَسْمَاءِ
أَصْلِحْ بِهِمْ رَأْىَ الأُولَى خَالُوهُمُ آلاَتِ تَهْنِئَةٍ لَهُمْ وَعَزَاءِ
وَلْتَشْهَدِ الأَوْطَانُ مَا حَسَنَاتُهُمْ فِى الْمَنْصِبِ الْعَالِى وَفِى الإِثْرَاءِ
وَلْتَعْلَمِ الأَيَّامُ مَا هُوَ شَأْنُهُمْ فِى كُلِّ مَوْقِفِ عِزَّةٍ وَإِبَاءِ

❀

يَا بَاعِثَ الْمَجْدِ الْقَدِيمِ بِشِـــعْرِهِ وَمُجَدِّدَ الْعَرَبِيَّةِ الْعَرْبَاءِ
أَنْتَ الأَمِـيرُ وَمَنْ يَكُنْهُ بِالْحِجَى فَلَهُ بِهِ تِيـــــــهٌ عَلَى الأُمَرَاءِ
أَلْيَوْمَ عِيـدُكَ وَهْوَ عِيـدٌ شَامِلٌ لِلْـــــضَّادِ فِى مُتَبَايِنِ الأَرْجَاءِ
فِى «مِصرَ» يُنْشِدُ مِنْ بَنِيهَا مُنْشِدٌ وَصَدَاهُ فِى «الْبَحْرَيْنِ وَالزَّوْرَاءِ»
عِيدٌ بِهِ اتَّحَدَتْ قُلُوبُ شُعُوبِهَا، وَلَقَدْ تَكُونُ كَثِـيـــرَةَ الأَهْوَاءِ
كَمْ رِيمَ تَجْدِيـــدٌ لِغَابِرِ مَجْدِهَا فَجَنَى عَلَيْهِ تَشَعُّبُ الآرَاءِ ؟
مَا أَبْهَجَ الشَّمْسَ لاَحَتْ لَهـــا بَعْدَ الْقُنُوطِ ، وَطَالَعَتْ بِرَجَاءِ
أَلـــشِّعْرُ أَدْنَى غَايَةٌ لَمْ يَسْتَطِعْ إِدْنَاءَهَا عَزْمٌ وَحُسْنُ بَلاَءِ
مَا السِّحْرُ إِلاَّ شِعْرُ «أَحْمَدَ» مَالِكاً مِنْهَا الْقِيَادَ بِلُطْفِ الإِسْتِهْوَاءِ

قَدْ هَيَّأَتْ آيَاتُهُ لِـوُفُـــــودِهَا   فِى «مِصْرَ» عَنْ أَمَمٍ أَحَبَّ لِقَاءِ[1]

لاَ يُوقِظُ الأَقْوَامَ إلاَّ مُنْشِدٌ   غَرِدٌ يُنَبِّهُ نَائِـــــمَ الأَصْدَاءِ

كَلاَّ وَلَيْسَ لَهَـــا فَخَارٌ خَالِصٌ   كَفَخَارِهَا بِنَوَابِغِ الـــشُّعَرَاءِ

يَا «مِصْرُ» بَاهِى كُلَّ مِصْرٍ بِالأُولَى   أَنْجَبْتِ مِنْ أَبْنَائِكِ الْعُظَمَاءِ

---

(١) أمم : قرب .

٤٥ ترجمة

من لافونتين

مَا بَيْنَ لُصُوصٍ وَلُصُوصٍ فَرْقٌ فِى الأَعْلَى وَالأَدْنَى

لِصـــــغَارِهُم المَوتُ المُزْرِى وَكِبَارِهِمُ الـــــشَّرَفُ الأَسْنَى

٤٦ تمثال سعد

رأى فى صنعة التمثال

أَلْقُوا الحِجَابَ وَأَبْرِزُوا الـتِّمْثَالاَ أَتَرَوْنَ سَعْداً، أَمْ تَرَوْنَ خَيَالاَ؟

إمَّا أَنَافَ بِطَيْفِهِ بَعْدَ الـــــرَّدَى فـــكَمَا أَنَافَ مَدَى الحَيَاةِ وَطَالاَ

أَثَرٌ مِنَ الــــعَيْنِ اسْتَعَارَ حَيَاتَهُ وَأَعَارَ فَضْلَ حَيَاتِهَا الأَجْيَالاَ

إنْ تَرْتَعُوا فِى نِعْمَةِ اسْتِقْلاَلِكُمْ فَتَذَكَّرُوا مَنْ شَادَ الاسْتِقْلاَلاَ

وَتَحَمَّلَتْ آلاَمُهُ آمَالَكُمْ ، هَلْ حَقَّقَتْ آلاَمُهُ الآمَالاَ ؟

تُبْدِى لَكُمْ فـى بَارِزَاتِ غُضُونِهِ كُرَبـاً تَحـــــمَّلَـهَا وَكُنَّ ثِقَالاَ

تِلكَ السِّنُونَ وَمُضْنِيَاتُ هُمُومِهَا أَلْـقَيْنَ حَـوْلَ المُقْلَتَيْنِ ظِــلاَلاَ

٤٧ البنفسجة

الحسْنُ كُلُّ الحُسْنِ فِى الطَّبِيعَةَ أُنْظُرْ إِلى آيَتِهَا البَدِيعَهْ

مَاذَا تَقُولُ الزَّهْرَةُ الوَدِيعَهْ ؟

أَمَالَى العَذْبَةُ وَالآلامُ وَيَقَظَاتُ العَيْشِ وَالأَحْلاَمُ

مِنْ كُلِّ مَا تُدَاوِلُ الأَيَّامُ

أَبُثُّهَا بِنَفَحَاتِ طِيبِى إِلى البَعِيدِ وَإِلى القَرِيبِ

خَالِصَةً مِنْ رِيبَةِ المُرِيبِ

وَأَمْنَحُ الأَبْصَارَ مِنْ رُوَائِى مَا فِيهِ قُرَّةٌ لِعَيْنِ الرَّائِى

بِلاَ مُدَاجَاةٍ وَلاَ رِيَاءِ

صُنْتُ جَمَالِى وَبَذَلْتُ عِطْرِى وَذَاكَ لله الكَرِيمِ شُكْرِى

فَإِنْ يَكُنْ شِعْرٌ فَهَذَا شِعْرِى

٤٨ الشاعر

يوقع على وتره الأخير

لحن الرضى وسكينة النفس

مَاذَا يُرِيـــدُ الـــشِّعْرُ مِنِّى ؟ أَخْنَى عَلَيْهِ عُلُوُّ سِنِّى !
هَلْ كَانَ مَا ذَهَبَتْ بِهِ الأَ يَّامُ مِنْ أَدَبِى وَفَنِّى ؟
أَحْسَنْتُ ظَنِّى ، والـــلَّيَا لِى لَمْ تُوَافِقْ حُسْنَ ظَنِّى
وَرَجَعْتُ مِنْ سُوقٍ عَرَضْـ ــتُ بِضَاعَتِى فِيـــهَا بِغَبْنِ
أَفَكَانَ ذَلِكَ ذَنْبَهَا أَمْ كَانَ ذَنْبِى ؟ لاَ تَسَلْنِى
خَمَدَتْ بِىَ الـــنَّارُ الَّتــِى رَفَعَتْ بِعَيْنِ الـــعَصْرِ شَأْنِى
هِىَ شُعْلَةٌ كَانَتْ تُثِـ ـيــرُ قَرِيحَتِى وتُنِيــرُ ذِهْنِى
أَيَّامَ لِى طَرَبٌ وقَلْـ ـــبِى مَوْقِعُ الـــسَّهْمِ المُرِنِّ

لاَ تَنْدُبُنِّـــي لِلْـــعَطَا ـــئِـم بَعْدَهَــا ، لاَ تَنْدُبُنِّـــى !

يَا مَـــنْ يُحَمِّلُنِـــى تكَا ـــلِيـفَ الشَّبَابِ ارْفُــقْ بِوَهْنِـى

زَمَنِــى تَوَلَّـــى وَالأُولَـــى عَمَرُوهُ مِـنْ صَحْبِى ، فَدَعْنِى

وَلَّى الــرَّبِيـــعُ وَجَفَّ عُو دِى وَانْقَضَى عَهْــدُ الــتَّغَنِّى

وَعَدِمْتُ لَـــذَّاتِ الـــرُّؤَى وَعَدمتُ لَذَّاتِ الــتَّمَنِـــيٍّ

إنِّى خَتَمْتُ الـــعَيْشَ فِي وَادِى المخيلَةِ ، أَوْ كَأَنِّـــى[1]

فَإِذَا بَـــدَتْ لَـــكَ هِمَّـــةٌ مِنْ دَائِـــبٍ يَشْقَـى وَيَبْنِـى ،

فَعَذِيـــرُهُ خَوْفُ الــتَّشَـ ـــبُّـــهِ بِالـرَّحَى مِنْ غَيْرِ طِحْنِ

وَيَكُدُّ كَـــدَّ الــنَّحْلِ وَهْـ ـــى لِغَيْرِهَا تَسْعَى وَتَجْنِى

أَرْضَى بِأَنْ تُـــقْضَى مِنِّى لِلآخَرِيـــنَ وَإِنْ عَدَتْنِى

أُخْلِي مَكَانِـــيَ لِلَّـــذِى يَسْمُو إِلَيـــهِ بِغَيْـرِ حُزْنِ

ولَـــقَـــد أَهَشُّ لِمَنْ يُطَا وِلُنِى وَإِنْ يَكُ تَحْتَ ضِبْنِى[2]

إِنَّ الحَقِيـــقَةَ، حِينَ نَبْـ ـــلُغُهَا، لَتَكْفِيـــنَا وَتُغْنِى

---

(١) المخيلة : الظن ، يريد : التوهم والتخيل .

(٢) الضبن : ما بين الكشح والإبط ، يريد بمن تحت ضبنه من هو دونه متقاصر عنه .

فِيهَا الجَلالُ بِكُلِّ مَعْـ ـنَاهُ، وَفِيهَا كُلُّ حُسْنِ

تَتَشَابَهُ التَّرِكَاتُ فِي أَنَّا نُعِدُّ لَهَا وَنَقْنِي[1]

فَإِذَا تَوَلَّيْنَا فَهَلْ أَسْمَاؤنَا مِنَّا سَتُغْنِي ؟

إِنْ نَبْقَ وَالأَرْوَاحُ قَدْ ذَهَبَتْ، فَمَا الأَسْمَاءُ تَعْنِي ؟

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الذِّكْرِ لِلْـ أَعْقَابِ نَفْعٌ لَمْ يَشُقْنِي

أَمَّا الجَزَاءُ فَإِنَّنِي اسْتَـ ـتَوْفَيْتُ مِنْهُ فَوْقَ وَزْنِي

فِي الحَاضِرِ اسْتَسْلَفْتُ مَا سَيَقُولُهُ التَّالُونَ عَنِّي[2]

---

(١) نقنى : نحفظ وندخر .

(٢) استسلفته : استقدمته ونلته فى الحاضر .

الفهرس

رقم الإيـــداع ١١٢٢٠ / ٩٩

الترقيم الدولى S.B.N 977-01-6385-6



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولاحدود ولاموعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل ـ للشاب. للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والفن المبدع والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك

مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع ٩٩

١٢٥ قرشاً

مهرجان القراءة للجميع
للطفل ـ للشاب ـ للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة